الخُطب الرمَضانية

الأستاذ الدكتور

عدنـــان خطاطبة

خطيب في مسجد الجامعة ومساجد وزارة الأوقاف

جامعة اليرموك/ الأردن

الخُطب الرمَضانية

(خُطب رمضانية عِلمية ودعوية)

الخُطب الرمَضانية

(خُطب رمضانية عِلمية ودعوية)

الأستاذ الدكتور عدنان خطاطبة

خطيب في مسجد الجامعة ومساجد وزارة الأوقاف

جامعة اليرموك/ الأردن

الطبعة الأولى

2023

الفهرس (عناوين الخطب)

المقدمة 7
أعظم ما نستقبل به شهر رمضان 9
الاستقبال الفقهي لقدوم شهر رمضان 15
رمضان بين الاستقبال الرباني والاستقبال الجاهلي..... 22
نعم.. سأتغير في رمضان 29
في رمضان احذر من ثلاث وأقبل على ثلاث..... 36
الزكاة: معززات بذلها ومرهبات منعها 41
تحقيق التوحيد في صيام رمضان "في خمسة عشر مقاما" 49
تزيين يوم الصيام بِسنن خير الأنام 59
زكاة الفطر من رمضان: فقهها وحكمتها وفضلها..... 67
ثلاثة تجليات إيمانية للصائمين وقت السحر..... 74
حظّ والديك منك في صيامك رمضان– مقامات رمضانية 79
ست منازل للصائمين المتسحرين 85
خصوصية القرآن في رمضان: الأدلة والدلالات 91
ثلاثة مواقف عُظمى في غزوة بدر الكبرى 100
أعظم (5) انتصارات للمسلمين في شهر رمضان..... 107
أولا: غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة 107
الصائم واستغلال دعوته المستجابة 112

رمضان وعبودية الاحتساب 121
"الإنفاق" وعقدة نقص المال: معالجة قرآنية نبوية 131
علو همّة الصائم في العشر الأواخر 141
بيت النبي صلى الله عليه وسلم في العَشْر الأواخر 148
الثابت في خصائص ليلة القدر وعلاماتها 152
"ليلة القدر" في سورة الدخان: تأمّلات علمية ووقفات رمضانية 161
بأربع آيات نودعك يا رمضان وقلوبنا معك 168
"خمس إشراقات في يوم عيد الفطر" 174

المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا الكتاب، مخصص فقط للخطب الرمضانية، فهو يجمع عددا من الخطب التي تناسب شهر رمضان الكريم، وما فيه من متطلبات، وعيد الفطر، وهي خطب مؤصلة علميا وشرعيا، وتحمل خطابا وعظيا إيمانيا، وبلغة واضحة وميسرة، وبفكر متزن، يلبي الحاجات الرمضانية عند عباد الله المؤمنين، وكاتبها، هو خطيب في مسجد جامعة اليرموك، وفي مساجد وزارة الأوقاف في الأردن، منذ قرابة الربع قرن.

وهذه الخطب، تأتي بعد حصيلة من الخبرة والممارسة والتجربة والقراءة المتنوعة، أضعها بين يدي عباد الله المؤمنين، وفيها من التنوع ما يغطي الشهر لسنوات عدة، ويمكن للخطيب اختيار ما يراه مناسبا منها، ويرتب المنتقاة منها عنده على مدار الشهر، ويعدل عليها أو يبقيها أو يختصرها أو يضيف لها، وفق ما يراه مناسبا.

راجيا من الله العليم الخبير الكريم سبحانه، أن ينفع بها، الكاتب، والقارئ، والناشر للخير، والخطيب، والواعظ.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

أعظم ما نستقبل به شهر رمضان

* الخطبة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمنون بالله العظيم: ما أعظم ما نستقبل يه شهر رمضان؟

أيها المؤمنون: إن أعظم ما تستقبل به شهر رمضان، هو الاستغفار، هو استغفار صادق.

نعم، ذاك الاستغفار الذي تخاطب فيه ربك الغفار، تسأله فيه أن يغفر لك ما أسلفت في أحد عشر شهرًا قد مضت منك وذهبت من حياتك، لا تدري ماذا كتب عليك فيها.

نعم، ذاك الاستغفار الذي يضعك متذللاً بين يدي الله، راجيه سبحانه أن يغفر لك مغفرة عظيمة، تطهِّرك من ذنوب أحد عشر شهرًا مضت من عمرك، لا تدري، آالله قد رضي فيها عنك أم قد غضب فيها عليك.

نعم، ذاك الاستغفار الذي تعلن فيه أنك تدخل رمضان نقيًّا، زكيًّا، كريمًا، صافي النفس، أبيض الجنان، نظيف الجوارح، فيكون ذاك تقدير منك لرمضان، وتعظيمًا منك لرمضان، وإكرامًا منك لرمضان.

نعم، ذاك الاستغفار هو أصدق استقبال منك لرمضان، فأنت به، تبوء فيه بذنبك، وتعترف بتقصيرك، وتظهر فقرك لربك، وحاجتك لمغفرته وعفوه، وذاك كله صدق إقبال منك على رمضان، لأنك تريد منه الارتقاء، تريد فيه تعظيم شعائر الله، تريد فيه صيامًا متقبلاً، صيامًا تقيًّا، صيامًا زكيًّا.

نعم، يا أيها المؤمن: استقبل شهر رمضان، باستغفار لربك، في مجلس تجلسه بين يدي الله، فتكرر فيه الاستغفار، وتكرر حتى تبلغ المائة مرة، هذا هو دأب نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل يوم، كل يوم، كان يكرر الاستغفار، ففي السنن يروي الصحابة أنهم كانوا يعدون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجلس الواحد أنه يقول: **"أستغفرك وأتوب إليك في المجلس سبعين مَرّة"**، وفي بعض الروايات **"مائة مرة"**، فافعل هذا قبيل رمضان، واجلس وقل: أستغفر الله وأتوب إليه، واستمر بتكرار ذلك، حتى يرقّ قلبك.

نعم، يا أيها المؤمن: استقبل شهر رمضان باستغفار لربك؛ لأنه يغان على قلوبنا كل يوم، فما بالك حينما تتطاول علينا الأيام لتبلغ أحد عشر شهرًا، فكم وكم يكون الغين والجفاء والقساوة على القلوب وفي القلوب، فاستمع ماذا كان يقول نبيّك محمد، فكما في صحيح مسلم أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **(إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)**؛ فلك أن تتصور حالنا نحن معه.

لذلك يا أيها المؤمن، يا عبد الله، استغفر الله، ثم استغفر الله، لزول الغين والرّان والقساوة من القلوب، لتصبح قلوبنا بيضاء رقيقة، فنستقبل بها شهر رمضان، وقد طابت نفوسنا بطيب قلوبنا، فالقلوب تطيب بالاستغفار، وتتفتح بالاستغفار كما تتلبد وتتبلد بالذنوب والمعاصي.

فهيّا إلى ما يجعلها تستقبل رمضان وهي متفتحة مشرقة منيرة، ففي سنن الترمذي وحسنه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهَّ؛ (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))** [المطففين، 14].

أيها المؤمن بالله العظيم، نعم، إن أعظم ما تستقبل به شهر رمضان، هو الاستغفار، هو استغفارك لربك من ذنوب وقعت منك، استغفارك لربك من تقصيرك في حقه، استغفارك لربك من أخطاء صدرت منك، فتكون بذلك من التوابين الأوابين المستجيبين لله ولرسوله. فمن منا لا يذنب ولا يخطئ ولا يقصر في جنب الله.

ففي الحديث الحسن، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)**؛ فالمسلم لا بد أن يقع منه الذنب تقيًّا كان أو فاجرًا، ولكن المهم هو ما بعد الذنب. إنه اللجوء إلى الله، وما أصدقك أيها المؤمن وأنت تستقبل رمضان باللجوء إلى الله، ومن يأوي إلى الله يأويه الله، من يلجأ إلى الله لا يخذله الله، بل يجد الله غفارًا توابًا. قال الله سبحانه: **(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)** [النساء: 110].

أيها المؤمن بالله العظيم، نعم، إن أعظم ما تستقبل به شهر رمضان، هو الاستغفار، ولكن اجعله استغفارًا جامعًا، استغفارًا شاملاً، استغفارًا كليًّا، استغفارًا يستغرقك كلك، يستغرق كل سلوكك، كل وقتك، كل حالك، كل ظروفك، لتستقبل رمضان وقد غُسلت كلّك مما يغضب ربّك سبحانه.

تعال معي لنستمع إلى هذا الاستغفار النبوي الجامع الخاشع المعبر لنجعل منه استغفارنا الذي نستقبل به رمضاننا. ففي صحيح مسلم أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يقول: **(اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**.

الله أكبر تأمّل معي قول الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي"**، فماذا أقول أنا وأنت؟!

أيها المؤمن بالله العظيم، نعم، إن أعظم ما تستقبل به شهر رمضان، هو الاستغفار، استغفار منك أيها المؤمن تلبيةً لنداء ربك لك، استجابةً لدعوة ربك لك بأن تستغفره، بأن تتوب إليه، بأن تسأله المغفرة ليغفر لك. فتكون بذلك قد استقبلت الشهر باستغفار قمت به طاعة لربك، الذي عزمت على طاعته في رمضان.

ففي الحديث القدسي في صحيح مسلم فيما يرويه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رب العزة يقول: (**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**)؛ فأيّ دعوة كريمة هذه من ربك الغفور، يُذكّرك أيها الإنسان أنك تخطئ وتذنب وتعصي في أوقات من الليل وفي أوقات من النهار، وهو وحده من يقدر أن يغفرها لك، ولكن بشرط أن تستغفره منها.

فأيّ لطف هذا؟! وأيّ كرم هذا؟! يقول لك هو سبحانه يغفر الذنوب جميعها، ويقول لك استغفرني من ذنوب الليل والنهار، فهيا إلى تلبية نداء ربنا لنا لنستغفره من ذنوبِ ليالي أحدَ عشر شهرًا، ومن ذنوبِ نهارِ أحد عشر شهرًا، لعلنا ندخل رمضان برايات بيضاء لا سواد فيها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها المؤمن: استقبل رمضان باستغفار لا يدع لك ذنبًا، باستغفار قلبي وقولي وحالي لا يترك لك سيئة إلا محاها، وإياك أن تستكثر ذنوبك، وإياك أن تستعظم أخطاءك فتترك الاستغفار بسبب تلبيس إبليس عليك، ألا تعلم ماذا يقول ربك؟ ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي في سننه عن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (**قَالَ اللهُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي**).

فيا أيها المؤمن ألا ترجو ربك في مستهلّ شهر رمضان ليغفر لك ما تقدم من ذنبك، ألا تدعو ربك ليعفو عن سيئاتك في مقتبل شهر رمضان. الله الله باستغفار نتذلل فيه لربنا لعله يغفر لنا، فندخل الشهر أقوياء، أصحاء، أرضياء، تغمرنا المغفرة وتعلونا السكينة.

أيها المؤمنون: أقترح عليكم، ومن قَبلُ على نفسي، وأدعوكم وأدعو نفسي أن نفعل شيئًا عظيما حينما يتم الإعلان أن غدًا رمضان، وهذا العمل هو اجتهاد نجتهده، وذلك بأن نقوم في أول ليلة من رمضان فنتوضأ فنحسن الوضوء، ثم نصلي لله تعالى ركعتين بخشوع وسكينة، ثم ندعو الله تعالى بعدها طالبين منه وراجينه بأن يغفر لنا ذنوبنا التي وقعت منا منذ أحد عشر شهرًا قد مضت.

وإني لأرجو الله تعالى أن مَن فعل ذلك يغفر له، وذلك أخذًا من الهدي النبوي عمومًا؛ ففي الحديث الصحيح الذي يرويه أبو داود في سننه عن عَلِيّ رضي الله عنه قال: "كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللهُّ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ

يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**)) [آل عمران: 135]، فالله اللهَ باستغفار يحفّه الندم والخشوع والتذلل نستقبل به شهر رمضان ونفتتح به عبادة الصيام.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

الاستقبال الفقهي لقدوم شهر رمضان

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون: جرت العادة بالحديث الطيب للخطباء عن استقبال رمضان، وأكثر ما تأتي به هذه الخطب هو الحديث عن الاستعداد الإيماني والتعبدي لاستقبال رمضان، وهذا أمر لا بد منه، وقد كان لنا فيه خطب كغيرنا من الخطباء، وسوف أخصص هذه الخطبة للحديث عن استقبال رمضان فقهيا، وهذا نوع من الاستقبال الفقهي لهذا الشهر المبارك، يتناول المسائل الفقهية المتعلقة بقدوم الشهر نفسه ودخوله، وهو حديث يتكامل مع الاستقبال الإيماني والتعبدي، وهو مفيد ونافع، وفيه تنظيم في التعامل مع قدوم شهر رمضان، وتعظيم لشأنه، وتقنين لحركته، وبيان لموقف المسلم من مقدمِه، وفيه الوقوف على الهدي النبوي الفقهي في قدوم شهر رمضان، وحسن التعامل معه، والبصيرة في الدخول فيه.

أيها الأخوة المؤمنون: ولا بأس بأن تكون بعض الخطب متخصصة بالجانب الفقهي وليس الوعظي، ولا بأس كذلك أن تكون لغة الخطبة وموضوعها قد طغى عليه الجانب الفقهي، فإن ذلك من الدين والدعوة والعلم، ومن تحقيق العبادة على بصيرة، ومن تعميم النفع والهدي المتعلق بشهر رمضان.

أيها الأخوة: عند النظر في الهدي النبوي الفقهي المتعلق في التعامل مع قدوم شهر رمضان، نجد بأن هذا الهدي النبوي الفقهي قد تمثل في الاستقبال الفقهي لشهر رمضان في أربعة مواقف فقهية، تعالوا بنا نقف عليها، ونعرضها بلغة علمية، سهلة واضحة. أيها المؤمنون: يتمثل الموقف الأول في الاستقبال الشرعي لقدوم شهر رمضان الذي جاء في الهدي النبوي الفقهي؛ وذلك بأن لا نستقبل شهر رمضان بصوم يوم أو يومين قبل دخوله، فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لاَ تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلاَ يَوْمَيْنِ، إِلاَّ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْماً، فَلْيَصُمْهُ**)، ومعنى قوله: "لا تقدموا" أي: لا تسبقوا.

أيها الأخوة: في هذا الحديث دليل على النهي عن استقبال رمضان بالصيام قبل ثبوت دخول رمضان، وذلك بأن يصوم المسلم يوماً أو يومين من باب الاحتياط لرمضان، أو من باب التطوع، وهذا النهي المذكور في الحديث محمول على التحريم على القول الراجح، ولكن يستثنى من ذلك من كان له عادة بصوم يوم معين؛ كالاثنين أو الخميس، فيصادف ذلك قبل رمضان بيوم أو يومين فلا بأس، لزوال المحذور، ويستثنى من النهي كذلك من يصوم واجباً؛ كنذر، أو كفارة، أو قضاء رمضان الماضي، فكل ذلك جائز؛ لأنه ليس من الاحتياط في استقبال رمضان.

أيها الأخوة: وقد ذكر العلماء شيئا من حكمة هذا النهي؛ من ذلك: تمييز فرائض العبادات عن نوافلها، والاستعداد لرمضان برغبة ونشاط، وإغلاق الباب أمام الزيادة في عدد أيام الصوم؛ لأنه إذا فتح باب النوافل والاحتياط قبل رمضان بيوم أو يومين، واستمر الناس على ذلك؛ فربما يظن الناس بعد زمن طويل أن اليوم واليومين من رمضان، فيزيدون فيه، وقد حدث في الأمم الماضية أنهم صاموا اليوم واليومين المنهي عنهما هنا، وقالوا: نصوم يوماً قبله احتياطاً له، ونصوم يوماً بعده احتياطاً له، فطال

عليهم الزمن فدخل الصوم الاحتياطي في الأصلي مع تعاقب الأجيال ونسيان الأصل، ومن هنا كانت حكمة التشريع بمنع الصوم قبل رمضان وبعد رمضان مباشرة ليسلم الشهر للأمة، وهذا ما كان، ولله الحمد، وهذا من بركات الاستقبال الفقهي لقدوم شهر رمضان.

أيها المؤمنون الصائمون: يتمثل الموقف الثاني في الاستقبال الشرعي لقدوم شهر رمضان الذي جاء في الهدي النبوي الفقهي؛ وذلك بأن لا نستقبل شهر رمضان بصوم يوم الشك؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه قَالَ: **(مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**.

أيها الأخوة: هذا الحديث من الهدي النبوي الفقهي في استقبال رمضان، فهو يدل دلالة واضحة على حرمة استقبال دخول شهر رمضان بصيام يوم الشك؛ لأن صيامه معصية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد بيوم الشك: يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو قتر، أو غيرهما، فمعلوم أن الشهر القمري قد يكون تسعة وعشرين يوما وقد يكون ثلاثين يوما، وكلاهما شهر كامل شرعا، وعليه قد يقع نوع من الشك في اليوم الثلاثين من كل شهر، هل يتبع الشهر الحالي أم الشهر الجديد؟

أيها الأخوة: يقول العلماء: إذا كانت السماء صحواً ليلة الثلاثين من شعبان فلا شك؛ لأنه إما رمضان بالرؤية، وإما شعبان لعدم الرؤية، ولكن إذا كانت ليلة الثلاثين من شعبان فيها غيم يحجب السماء، فيمكن أن يظهر الهلال ولكن يحجبه السحاب، ويمكن أن لا يظهر، فالاحتمالان متعادلان، فهنا يكون الشك، فإن رئي زال الشك، وإن لم ير بقي الشك على ما هو عليه، ففي هذه الحالة ماذا نفعل؟ هل نصوم هذا اليوم أو نترك الصوم؟ إن صمنا هذا اليوم نكون قد صمنا يوم الشك، ومن صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن حكمة ذلك، حتى لا يدخل في رمضان ما ليس منه.

ولذلك- أيها الأخوة-: الواجب الشرعي في هذه الحال أن نفطر يوم الشك، ونكمل عدة شعبان ثلاثين حتى ندخل شهر رمضان بيقين. وهذا ما جاء به الهدي النبوي الفقهي في استقبال دخول شهر رمضان، كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ ثَلاَثِينَ)، وَلِلْبُخَارِيِّ: (فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلاَثِينَ)، وَلَهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ)، وقوله: "فإن غُمَّ" أي: سُتِرَ الهلال وغُطي بغيم أو قَتَرٍ ونحو ذلك، قوله: "فاقدروا له" بضم الدال أو كسرها، أي: أبلغوه قدره؛ وهو تمام ثلاثين يوماً. أيها المؤمنون: يتمثل الموقف الثالث في الاستقبال الشرعي لقدوم شهر رمضان الذي جاء في الهدي النبوي الفقهي؛ وذلك بأن نعلق دخول شهر رمضان على رؤية الهلال، فقد جاء في الحديث المتفق عليه: عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ)**، وقوله: "إذا رأيتموه" أي: الهلال، والمراد: إذا رآه من تثبت به الرؤية. أيها الأخوة: هذا الحديث من الاستقبال الفقهي لقدوم شهر رمضان الذي جاء به الهدي النبوي. وفي الحديث: دليل على وجوب صيام رمضان إذا ثبتت رؤية هلاله، وعلى وجوب الفطر إذا ثبتت رؤية هلال شوال، وأن حكم الصوم والفطر معلَّق بالرؤية ولو كانت بواسطة المراصد والآلات التي تكبر المرئيات؛ لأن ذلك رؤية بالعين المشاهدة. ويقول العلماء أيضا: إن الحديث دليل على أنه لا عبرة بالحساب في إثبات دخول الشهر وخروجه، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره إجماع الصحابة على ذلك؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّق الحكم بالرؤية لا بالحساب.

أيها الأخوة: ومن فقه الحديث أنه قال: "إذا رأيتموه" ولم يقل: إذا رأيته، فالخطاب هنا للجمع، فهل يتعين على كل واحد أن يراه ليصوم؟ بعض الناس ضعيف النظر،

سيصوم على رؤية غيره، وعليه قوله: "إذا رأيتموه" أي: في مجموعكم، بمعنى: لو رآه واحد منكم فكأنكم جميعاً رأيتموه- فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا.

أيها المؤمنون: وعادة ما يتناقش المسلمون في مسألة اختلاف البلدان الإسلامية وتوحدها في بداية صوم رمضان، وكذلك في نهايته. ونحن علينا أن نتفقه في تلك المسألة، وننظر في كلام علماء الأمة، ونأخذ به لنكون على بصيرة في صيامنا، واستقبالنا الفقهي لشر رمضان، يقول العلماء: قوله في الحديث: "صوموا لرؤيته" هل هو خطاب لأهل المدينة في ذلك الوقت أو خطاب للأمة كلها؟ من قال: هو خطاب لمن كان موجوداً في ذلك الوقت، قال: خاص بهم. ومن قال: هو عام للأمة كلها، قال: إذا رئي في بلد وجب على جميع بلاد العالم الإسلامي أن يصوم، ولكن وجدنا الأخبار والعمل على اعتبار كل قطر لمطلعه، كما في قضية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مع كريب، فـ كريب أرسلته بعض أمهات المؤمنين إلى معاوية رضي الله تعالى عنه وهو خليفة بالشام، فأدركه رمضان بالشام، ورءوا الهلال ليلة الجمعة، وأصبحوا صائمين يوم الجمعة، ثم جاء كريب إلى المدينة وهم في رمضان، فتحادث هو وابن عباس عن أهل الشام، وعن معاوية وعن رمضان، فقال كريب: "أما رمضان فقد رأينا الهلال ليلة الجمعة" قال: "أنت رأيته؟" قال: "نعم، رأيته وصمنا وصام معاوية وأمر بالصوم"، فقال ابن عباس: "أما نحن- وكان في المدينة- فلم نره إلا ليلة السبت" فقال: "ألا تكتفي برؤية معاوية وصومه؟" قال: "لا، بهذا أمرنا رسول الله"، فقوله: "صوموا" خطاب لكل قطر على حده بقي الخلاف والنزاع في تباعد الأقطار وتقاربها.

أيها الأخوة المؤمنون: وأنقل لكم كلام مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في هذه المسألة حيث أصدر فيها قرارا مضمونه ما يلي: أولا: اختلاف مطالع الأهلة من الأمور التي علمت بالضرورة حسا وعقلا، ولم يختلف فيها أحد من العلماء

وإنما وقع الاختلاف بين علماء المسلمين في اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتباره. ثانيا: مسألة اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتباره من المسائل النظرية التي للاجتهاد فيها مجال والاختلاف فيها واقع ممن لهم الشأن في العلم والدين وهو من الخلاف السائغ الذي يؤجر فيه المصيب أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ويؤجر فيه المخطئ أجر الاجتهاد، وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين: فمنهم من رأى اعتبار اختلاف المطالع، ومنهم من لم ير اعتباره، واستدل كل فريق منهما بأدلة من الكتاب والسنة، وربما استدل الفريقان بالنص الواحد، كاشتراكهما في الاستدلال بقوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)**[البقرة: 189]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: **(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)** الحديث، وذلك لاختلاف الفهم في النص وسلوك كل منهما طريقا في الاستدلال به. ونظرا لاعتبارات رأتها الهيئة وقدرتها ونظرا إلى أن الاختلاف في هذه المسألة ليست له آثار تخشى عواقبها فقد مضى على ظهور هذا الدين أربعة عشر قرنا، لا نعلم فيها فترة جرى فيها توحيد الأمة الإسلامية على رؤية واحدة، فإن أعضاء مجلس كبار العلماء يرون بقاء الأمر على ما كان عليه، وعدم إثارة هذا الموضوع، وأن يكون لكل دولة إسلامية حق اختيار ما تراه بواسطة علمائها من الرأيين المشار إليهما في المسألة، إذ لكل منهما أدلته ومستنداته"[انتهى كلام اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء].

أيها المؤمنون الصائمون: يتمثل الموقف الرابع في الاستقبال الشرعي لقدوم شهر رمضان الذي جاء في الهدي النبوي الفقهي؛ وذلك بأن نكتفي بقبول شهادة الواحد في دخول شهر رمضان؛ ففي الحديث الصحيح عَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلاَلَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلاَلَ، فَقَالَ: (**أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟**) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (**أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ؟**) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (**فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا بِلاَلُ: أَنْ يَصُومُوا غَداً**).

أيها الأخوة: هذا الحديث من الاستقبال الفقهي على بصيرة لدخول شهر رمضان، وهو من الهدي الفقهي النبوي في التعامل مع شهر رمضان، وفي الحديث دليل على أنه يكتفى بشخص واحد يخبر برؤية هلال رمضان، سواء أكان ذكراً أم أنثى، بشرط أن يكون مسلماً، وأما الخروج من الصيام، فلا يقبل فيه إلا شهادة اثنين عدلين في قول الجمهور، وفي الحديث: دليل على استحباب ترائي الهلال ليلة الثلاثين من الشهر، لقوله: "تراءى الناس الهلال" ولا سيما من رزقهم الله تعالى حدة في البصر، وهو يدل على أن ذلك هدي أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن فيه مصلحة عظيمة للمسلمين لما يترتب على رؤيته من الأحكام. وفي الحديث كذلك: دليل على أن من رأى الهلال فإنه يخبر برؤيته الإمام أو من ينيبه الإمام في هذا الشأن لإعلانه للناس.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها الأخوة المؤمنون: هذه هو ديننا، وهذا هو هدي نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هدي فيه الكمال، وفيه البصيرة، فاستقبالنا لشهر رمضان يتكامل فيه الاستقبال الإيماني والتعبّدي مع الاستقبال الفقهي الشرعي، وكلّ ذلك على هدى من الله وبصيرة وعلم، ليسير المسلم في طريق التعبد الرمضاني مطمئن النفس، مبصراً لحدود الشهر ومداخله ومخارجه.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

رمضان بين الاستقبال الرباني والاستقبال الجاهلي

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

يا من إليه جميع الخلق يبتهـلُ وكـل حيّ علـى رحمـاه يتكّــلُ
أنت المنادى به في كلّ حادثة أنت الإله وأنت الذخر والأملُ
أنت الرجاء لمن سدّت مذاهبه أنت الدليل لمن ضلت به السبلُ
إنا قصدناك والآمال واقعـة عليك والكل ملهوف ومبتهـلُ

الكلّ من عباد الله ملهوف إلى الله، مبتهل إلى الله، ملهوف إلى رحمة الله في رمضان، مبتهل إلى الله أنْ يعتقه في رمضان، ملهوف إلى نفحات الله في رمضان، مبتهل إلى الله أن يعفو عنه في رمضان.

أيها المسلمون: ها هو شهر رمضان قد جاء زمانَكم، وقد حل ديارَكم، وقد نزل منازلكم، فما أنتم قائلون؟! وما أنت فاعلون؟! فشهر رمضان عند الله تعالى وعند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهر عظيم، معظم، مبجّل، ممجّد، مقدَّر.

أيها المسلمون: واقع الحال يقول: إنّ استقبال المسلمين اليوم لرمضان ليسوا فيه سواءً؛ فمنهم الرافع رأسه والفاتح يديه، ومنهم المنكّس رأسه والنافض يديه، نعم -أيها المسلمون-، واقع الحال يقول: هناك من يستقبل رمضان استقبال الجاهلين، وهناك من يستقبل رمضان استقبال المستهترين، وهناك من يستقبل رمضان استقبال الربّانين. ولا بد من وقفة مع كل ذلك.

أيها العبد المؤمن: لا تجعل استقبالك لرمضان، لشهر الله العظيم، استقبالاً جاهليًّا، كما كانت قريش تستقبل مواسم الدين والعبادة، حيث بدلت وحرّفت، ووجد اليوم فينا من بدل ومن حرّف، استمع إلى ربك سبحانه وهو يذم استقبال جاهلية قريش لدينها واحتفائها بمواسمها الدينية؛ حيث يقول سبحانه: (**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**) [الأنفال: 35]، أي: إلا تصفيقًا وتصفيرًا؛ يقول العلامة السعدي: "وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات (إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)، أي: صفيرًا وتصفيقًا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟!".

وهذا حال بعض الجاهلين من أبناء هذه الأمة في زماننا، المميّعين لمواسم الله العظيمة، ولشعائره الجليلة، ومنها هذا الشهر المقدّر المبجّل؛ حيث يستقبلون رمضان استقبالاً جاهليًا، بل أدهى وأمرّ مما فعلته قريش حيث اقتصرت على التصفير والتصفيق، ولكن هؤلاء المميّعون لهذا الشهر الفضيل يسخّرون أقوى آلات الإعلام، وأغلى إمكانات الاتصال والكمبيوتر، وأثمن أماكن الرفاهية؛ ليجعلوا منها سلّمًا ينشرون من فوقه الدخان على بياض رمضان، ويجمعون الأموال بالباطل والزور والبهتان؛ حيث يوظفون إمكاناتهم لملء ليل رمضان ونهاره بكلّ ما يشغل المسلمين ويقتل أوقاتهم، ويضيع أجر صيامهم، ويزيد من خطيئاتهم، ويقسي قلوبهم ويستنزف أموالهم، فيبثون المسلسلات الماجنة، والبرامج الهابطة، والمسابقات المنكرة، والفكاهات والمسليات المختلطة والفاسدة، وكل هذا يفعل باسم رمضان، فهي تقدم للناس على أنها مسلسلات وبرامج ومسابقات ومفاكهات رمضانية، والسباق والتنافس بين الإعلام والفضائيات محموم محموم، ليسوقوا الناس إلى الحميم.

ويزداد عجبك، وتزداد سوءة الجاهلية حينما تسمع وتقرأ المئات من الإعلانات في بعض مدننا العربية عن السهرات الرمضانية، والحفلات الرمضانية، والإفطارات الرمضانية، ولكن على وقع الموسيقى والطرب والرقص والاختلاط، فأيّ جاهلية قريش تلك التي ستلحق بهؤلاء؟! إنهم لم يبقوا لرمضان بريقه، وصفاءه وطهره، فهلاّ تركوا لنا رمضان بحاله، أما كفاهم ما يفعلونه قبل رمضان وبعد رمضان؟! إنهم يقتلون روح رمضان، وينفثون النار والسّموم على موائد الرحمن، ليصدق حالة قريش بأبشع صورها: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال: 35]، إنها جاهلية قريش، وجاهلية القروش والكروش، ولكن هنا تفعل باسم رمضان.

أيها الأخوة: هؤلاء الذين يستقبلون رمضان هذا الاستقبال الجاهلي، يستقبلونه بالمسلسلات المنكرة، وبالسهرات المختلطة، وبالموائد المتخمة والمسرفة، ألا يتذكرون أنهم مسلمون مؤمنون؟! وهناك إخوان لهم مسلمون مؤمنون في شتى بقاع الدنيا، منهم من يستقبل رمضان ودمه ينزف، ومنهم من يستقبل رمضان ولا يقر له قرار في بيته، بل هو على الثغور يحمي الديار ويجاهد الكفار، ومنهم من يستقبل رمضان وهو سجين بعيد لا يرى أهلاً ولا أحدًا، ومنهم من يستقبل رمضان والهم يعتصره: أنَّى يطعم أهله وصغاره؟! ومنهم من يستقبل رمضان وهو يصارع المرض والألم والابتلاءات والمحن، وهناك من يستقبله وقد هدم بيته وفقد ولده وشلّت ابنته، فيا الله: أين نحن؟! ويا الله: ما أقسانا!! ويا الله: ما أشدّ غفلتنا!! وما أكبر حوبتنا!! وما أقل شكرنا!! وما أعظم جرمنا حينما نكون من هؤلاء ومع المستقبلين الجاهليين لشهر الله العظيم!!

أيها العبد المؤمن: لا تجعل استقبالك لشهر الله العظيم استقبالاً مستهترًا؛ تنتهك حرمة هذا الشهر العظيم، فتفطر في أيامه العظيمة، فبعض المسلمين اليوم وبعض المسلمات يفطرون في نهار رمضان عامدين متعمدين، معاندين مصرين، لا يرعون لرمضان

عظمة، ولا للمسلمين حرمة، ولا لأنفسهم آخرة، فلا تفعل ذلك يا عبد الله، لا تكن من هذه الفئة المستهترة، العاصية الخاطئة، فأنت إن فعلت فإنك من الظالمين، فالإفطار في رمضان كبيرة من الكبائر العظيمة، الإفطار في رمضان ذنب من الذنوب الكبيرة، استمع إلى نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصف لك شيئًا من عذاب المفطرين في نهار رمضان، حيث يقول كما في الحديث الصحيح: (**بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلاً وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت، حتى إذا كنت في سواء الجبل، إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟! قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشقّقة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، فقلت: من هؤلاء؟! قالا: الذين يفطرون قبل تحلّه صومهم**).

فيا ويلك من الله، تفطر في شهره العظيم، تعاند أمر ربك العزيز الجبار الذي أمرك فقال لك: (**فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) [البقرة: 185]، تفطر لأجل شربة ماء، تخاف العطش، ألا تذكر قول ربك؟! ألا تخاف أن تكون من أهل: (**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**) [الكهف: 29]، يا ويلك من الله، تفطر لأجل لقيمات تزجها في جوفك، ألا تذكر قول ربك، ألا تخاف أن تكون من أهل: (وَطَعَامًا ذَا غُصَّة) [المزمل: 13]، والمصيبة والداهية أن بعض المسلمين يفطر في رمضان، لماذا؟! لأجل أن يدخن، لأجل سيجارة، إنه لا يصبر على مفارقة الدخان لساعات، فينتهك حرمة رمضان، ويرتكب محرمًا بالحرام ولأجل الحرام، يا ويل هذا من الله، نسي قول ربه العظيم: (**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**) [الأعراف:41].

فيا عبد الله: لا تفطر في رمضان، تحمّل الجوع، تحمل العطش، تحمل الصبر على الشهوات، كل ذلك تحمله واصبر عليه لأجل الله، لأجل الأجر العظيم، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين والمحسنات، اصبر-أيها الشاب-، أيها الرجل، أيتها الفتاة، اصبروا على

الأقل كما يصبر الآلاف من أطفال وطفلات المسلمين الصائمين الصائمات، وتشبهوا بهم واستحيوا منهم.

إن هؤلاء المفطرين في رمضان لا يرى الواحد منهم شهر رمضان إلا بمنظور ضيق، لا يراه إلا شهرًا سيحرمه في نهاره من الأكل، سيمنعه من الشرب، سيوقفه عن التدخين، إنه منظور تعيس وشقي، إنه منظور أهل الدنيا، الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ولكنهم عن الآخرة غافلون.

أيها المؤمن: كُنْ عبد الله الرباني، كن المؤمن بالله العظيم، الذي يستقبل شهر الله استقبال المؤمنين الربانيين الخاشعين، الذين يعظمون شعائر الله وما يكون لله وما يختاره الله وما يأمر به الله، وشهر رمضان هو من اختيار الله، فالله خلق الأزمنة واختار من أيامها يوم عرفة، ويوم الجمعة، واختار من شهورها شهر رمضان، فشهر رمضان عظيم؛ لأنّ الذي اختاره هو الله العظيم، وأراده أن يكون عندنا عظيمًا، فهل نحن راضون وقابلون باختيار الله لنا؟!

فيا عباد الله: هذا الشهر هو اختيار الله لكم فاقبلوه، وأقبلوا على ما اختاره الله لكم. إنّ التفكّر في هذا الأمر، في أنّ شهر رمضان هو اختيار الله لنا يجعلنا نعظم هذا الشهر، ونقدّر هذه الخيرة من الله، ونجلها؛ (**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**) [الحج: 32]، فرمضان خيرة الله وشعيرة من شعائر الله، وهذا ما يجعل العبد المؤمن الصادق يعظم هذا الشهر ويحتفي به ويستقبله استقبال عباد الله الربانيين.

أيها المؤمن: كُنْ عبد الله الرباني، المؤمن بلقاء الله، الذي يستقبل شهر الله العظيم استقبال الفرحين، ألم تسمع إلى قول ربنا جل ثناؤه: (**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**) [يونس: 58]، ورمضان هو من فضل الله ورحمته التي

يفرح بها العبد المؤمن، وللصائم فرحتان، وهو خير من متاع الدنيا الزائل، ومما يجمعه الزائلون من هذه الدنيا الزائلة.

أيها المؤمن: كن عبد الله الرباني، المؤمن بلقاء الله، الراجي لشفاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته وهديه، الذي يستقبل شهر رمضان بصيام نهاره احتسابًا لله: **(من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه)**، ولأجل الله: **(يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي)**، نعم، من أجل الله عزّ في علاه، خالقنا وراحمنا وإليه مصيرنا، سنصوم شهر رمضان، من أجل الله سنتحمل عناء صيام رمضان، من أجل الله سنصبر على العطش في نهار رمضان، رجاء أن يسقينا من حوض نبيه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، من أجل الله سنصبر على الجوع في نهار رمضان، سنصبر على التعب والحرّ في نهار رمضان، رجاء أن يجعلنا ربنا من الذين يظلهم في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

أيها المؤمن: اجعل همّك همًّا ربانيًّا في رمضان، همّ من يستقبل رمضان استقبالاً ربانيًا، يستقبله وهمّه: ماذا سأصنع في رمضان؟! ماذا سأقدم في رمضان؟! كيف سأستغل نهاره وليلة؟! كيف سأضاعف أعمالي الصالحات وسجلات الحسنات؟! كيف سأتميز في رمضان هذا عن رمضان السابق؟! كيف أجدد حياتي وإيماني؟! كيف أقوِّي علاقتي بالله؟! كيف أرضي الله؟!

أيها المؤمن: استشعر أنك لست وحدك من يستقبل رمضان في هذه الأرض، بل هناك من يستقبل رمضان في السماء، نعم، كما يستقبل أهلُ الأرض رمضان، كذلك يستقبل أهل السماء رمضان، ألم تسمع ماذا قال نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، قال كما في الصحيح: **(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار)**، الله أكبر.. إنه يُحتفل في السماء بقدوم رمضان، إنه يُستقبل في السماء استقبالاً ربانيًّا، أفلا نستقبله نحن في الأرض استقبالاً ربانيًّا كذلك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها الأخوة: الاستقبال الرباني لرمضان لا بد أن يكون فيه تجديد التوبة وتأكيد الاستغفار.

عباد الله: إنه قد مرّ علينا أحد عشر شهرًا، الله أعلم ما أسلفنا فيها -وكلنا ذو خطأ-، والله وحده أعلم بالذنوب التي تراكمت على أظهرنا، وبالخطايا التي سوّدت صحائفنا، وبالتقصير والإهمال الذي انتاب أيامنا ولياليا، وهذا شهر عظيم مبارك قد أظلنا، شهر البركة وشهر التوبة، فلنكن من عباد الله الربانيين التائبين المستغفرين، فلنستقبل شهر الله المعظم هذا بالتوبة إلى الله العظيم؛ استجابة لنداء الله لنا: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً)** [التحريم: 8].

ولنقبل على الاستغفار إقبال العطشى والحائرين، يقول التواب الرحيم، واسع المغفرة والإحسان، في الحديث القدسي الصحيح: **(يا ابن آدم: إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثمّ استغفرتني غفرت لك ولا أبالي)**، وتذكر قول أحد الصالحين وهو يزيد الرقاشي حينما كان يخاطب نفسه قائلاً: ويحك- يا يزيد- من ذا يصلي عنك بعد الموت؟! من ذا يصوم عنك بعد الموت؟! من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟!

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

نعم.. سأتغير في رمضان

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمن، أتعرف أن رمضان يمتلك قوى عدة، ومعطيات جمة، تساعدك على التغيير؟ أتعرف أن رمضان يُثْبِتُ لك أنك تمتلك قدرات ذاتية هائلة تساعدك على التغيير؟.

أيها المؤمن، أيتها المؤمنة: مِن هنا، يلزم أن أقرر أنا وأنت أننا حقا يجب أن نتغير في رمضان. نعم، سأتغير أنا وأنت في رمضان؛ لماذا يا أيها المؤمن؟ سأتغير في رمضان؛ لأن رمضان ميدان للتغيير.

هو شهر ليس كغيره من الشهور، هو شهر يمتلك خصائص لا يمتلكها شهر آخر من شهور السنة، هو شهر فيه أعمال لا يمكن أن تكون في غيره من شهور السنة، هو شهر يمتلك كل معطيات التغيير، فيه كل قوى التغيير.

رمضان، هو شهر لا كالشهور، هو شهر صفته الامتناع عن تناول الطعام والشراب في نهاره، فهو الشهر الوحيد الذي يجعل من نهاره ميدانا تدريبيا لمواجهة شهوة الانكباب على الأكل والشرب، هو الشهر الوحيد الذي يجعل ثلاثين يوما تدريبا، طول كل حصة تدريبية نهار كامل، متوسطها حوالي اثنتا عشرة ساعة تدريبية ويزيد، وبصورة يومية متواصلة، فأي ميدان تدريبي يقدم ذلك، ويقع فيه ذلك، إلا رمضان؟.

فها هو رمضان يبسط نهاره ليجعل منه ميدانا لتدريب شخصية المسلم، لتطوير ذاته في مواجهة نزعات النفس وشهواتها أمام تناولها ما تحتاجه أو ما تشتهيه من شهوة البطن.

نعم، سأتغير أنا وأنت في رمضان؛ لماذا يا أيها المؤمن؟ سأتغير فيه لأن رمضان ميدان للتغيير، هو شهر يمتلك قوى التغيير، ومعطيات التغيير، فهو الشهر الوحيد الذي يجعل من نهاره ميدانا للتدريب على صيانة شهوة الفرج، تخضع فيه شخصية المسلم لمدة ثلاثين يوما، كل يوم قرابة اثنتي عشرة ساعة تدريبية، يقوّي فيها نفسه على مواجهة شهواتها ورغباتها الجنسية، فيمنع نفسه من تفريغ شهوته بأي طريقة كانت، لا بالحلال ولا بغير الحلال، فأيّ شهر يمتلك هذه الخصائص غير شهر رمضان؟ وأيّ شهر يجعل من نفسه ميدانا تدريبيا طويلا وصارما إلا شهر رمضان؟ بل أيّ معاهد الدنيا تفعل فعله وتتَبنى برنامجه؟ أليس معنى هذا أنّ شهر رمضان هو شهر التغيير بحق وبجدارة؟ هو شهر يدخلك في دورات لتغيير النفس ومواجهة نوازعها، وتطوير الذات، وتربية الرغبات.

نعم، سأتغير أنا وأنت أيها المؤمن في رمضان؛ لماذا؟ إن رمضان أقنعني بذاتي، أقنعني بقدراتي، كشف لي مخزوني الداخلي، أقنعني بأنني قادر على تغيير ذاتي، وتطوير أدائي، وتحسين أحوالي، ورفع مستوى إنجازاتي. فتأمل معي: كيف ذاك؟!.

نعم، رمضان طالبني دينيا، وألزمني عمليا، بأن أقوم بكسر المألوف وتجاوز الروتين، فحينما أكون كل يوم بطوله، بنهاره، بكل ساعاته، من فجره إلى ليله، أنا فيه حُرّ طليق أتناول ما أشتهي من الطعام والشراب، بل ذاك هو من أقوى عاداتي، فلا يمر يوم لا آكل فيه ولا أشرب في نهاره مرات ومرات، ثم يأتي رمضان فيدربني على التوقّف عن ذلك طوال نهار اليوم، ولمدة تزيد عن اثنتي عشرة ساعة، وإذا بي أكتشف نفسي، بأنني قادر على فعل ذلك، بل ويمنعني من شهوة الفرج إضافة لشهوة البطن، وإذا بي قد

نجحت في التوقف عن الشهوتين معا، ولمدة يومية طويلة في حقل التدريب البشري، أليس هذا أكبر دليل على أنني أمتلك قوة ذاتية مذهله على كسر المألوف والمعتاد؟ بل وعلى الامتناع عن المرغوب والمشتهى؟ أليس هذا شاهدا واقعيا يقنعني بأنني فعلا تغيرت في رمضان، وغيرت من سلوكي، وطوّرت مهاراتي النفسية والذاتية؟.

تأمل معي لتكتشف أنك تمتلك قوى عميقة بداخلك تقول لك: نعم أنت تغيرت للأحسن، ونعم، أنت قادر على التغيير للأحسن أكثر في ميادين أخرى من حياتك، تكسر فيها المألوف السّلبي، والعادات السيئة، والسلوكيات غير السّوية.

نعم، سأتغير في رمضان؛ لأن رمضان قد جعل من نهاره ميدانا للتدريب على التغيير، وقد جعل من ليله ميدانا للتغيير. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: (**الصوم جُنّة يستجن بها العبد من النار**).

نعم، سأتغير في رمضان؛ لأن واقعي في شهر رمضان أقنعني بأنني أمتلك قدرات ذاتية ونفسية هائلة على مواجهة المألوف والمعتاد والمرغوب، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: (**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**).

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ فكما تدربت في رمضان على أن أجعل من دوافع تغيير عاداتي في الأكل والشرب والشهوة، لأجل الله ربي سبحانه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: (**يقول الله: إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي**)، فسأجعل دوافع تغيير كثير من سلوكاتي السلبية هو استجابة لدافع: (من أجلي)، فمن أجلك يا ربي، يا إلهي، غيرت عادة الطعام والشراب والشهوة، كذلك من أجلك سأغير من سلوكي السلبي في مشاهدة الحرام على التلفاز، في تعاطي الحرام من الدخان وغيره، سأغير من أجلك يا ربي علاقاتي غير الشرعية مع

الجنس الآخر، سأغير من انفتاحي السلبي على مواقع التواصل الاجتماعي، لأجلك يا رب، فأنت من وصفت الصائم بأنه: "يدع شهوته وطعامه من أجلي".

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ فشهر رمضان يمتلك طاقة خاصة، فيه مخزون خاص يقويني على التغيير؛ ففي شهر رمضان تصفّد الشياطين، فكما في الحديث الصحيح: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين**).

فرمضان يسهّل عليّ عملية التغيير، رمضان يحجب عني أحد موانع التغيير الشريرة، الخفية، المقاومة لكل تغيير إيجابي، فإذا كان بفضل الله تعالى قد انعدم تأثيره على نفسي، أليس هذا من أعظم التسهيل والتيسير لتغيير الذات والتقليل من المعاصي؟ لأنه لم يبق مصدر للمعاصي لأرتكبها إلا نفسي الأمارة بالسوء والبيئة المحيطة؛ لذلك، سأنتهز فرصة ابتعاد الشيطان عن طريقي، وسأجتهد في تغيير نفسي للأحسن، فسأكف عن ارتكاب المحرمات وفعل الفواحش وإيذاء الخلق، وأستبدل ذلك بفعل الطاعات، والإحسان إلى الخلق.

فهذه هي مدرسة رمضان التدريبية والتغييرية، مدرسة شعارها كما في الحديث الصحيح: (**رمضان تفتح فيه أبواب السماء، وفي رواية: الجنة، وتغلق فيه أبواب النيران، ويصفد فيه كل شيطان مريد، وينادي مناد كل ليلة: يا طالب الخير هلم، ويا طالب الشر أمسك**).

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ فشهر رمضان يبعث في نفسي طاقة الصبر، ويدرب نفسي على أن تصبر لمدة اثنتي عشرة ساعة يوميا على الأقل ماسكة زمامها، مانعة رغباتها عن التفلّت والانطلاق في عالم شهوتي البطن والفرج، ولمدة ثلاثين نهارا،

فأنا أتلقى في رمضان تدريبا شديد البأس لا تقدمه كل معاهد الدنيا بهذه الصورة، فسأتغير لأكون صبوراً أكثر، صبوراً على أداء صلاة التراويح، صبوراً على القيام للتسحر، صبوراً على أخلاق زوجتي وأولادي وأصدقائي، صبوراً على الإمساك عن المعاصي والتدخين، نعم، سأتغير من داخلي لأبعث في نفسي طاقة الصبر التي أظهرتها طوال نهار رمضان، التي أثبتت لي قوتي الباطنية والنفسية، لأعيش الصبر في حياتي كلها، فأصبر على المصائب وتحمل المكروهات وتحقيق الآمال والطموحات.

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ سأتغير في أسلوب مواجهة من يؤذونني، في التعامل مع أولئك الذين يستفزونني، ويقهرونني؛ لأن رمضان دربني على ضبط شهوة الطعام رغم لذتها، وشهوة الشراب رغم حاجتها، وشهوة الفرج رغم إغرائها، تدربت طوال النهار على ذلك، تلقيت ساعات تدريبية طويلة طويلة لا يتلقاها أي متدرب آخر في أي مدرسة أخرى، فأستطيع بعد ذلك أن أضبط شهوة الغضب، وغريزة الانتقام، فلا أكون متعجلا ولا متهورا ولا سباباً شتاماً، هكذا هي مدرسة رمضان التدريبية التي وصفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: (**الصيام جُنّة، إذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم**)، وفي رواية صحيحة أخرى: (**الصيام جنة من النار، فمن أصبح صائما فلا يجهل يومئذ، وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه، ولا يسبه، وليقل: إني صائم**).

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ سأتغير في إقبالي على القرآن؛ لأن رمضان يمتلك روحا خاصة للقرآن، لأن رمضان تسري نسائم القرآن في كل أيامه ولياليه وساعاته ودقائقه، فهو يملك مخزوناً تعريفياً وتقديرياً عظيماً للقرآن ينفخه في ذاتي وقلبي واهتمامي فيجعلني أكثر إقبالا على القرآن، فرمضان الذي هو ميدان يُدرّبني ومعهد يُربّيني، لا يُعرف إلا بالقرآن، ولا يتجمّل إلا بالقرآن، بل رمضان لم يعرف إلا

بالقرآن، فهو شهر القرآن، وفيه نزل القرآن، وفيه كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطيه خصوصية قرآنية فيتدارس القرآن مع جبريل، فكلّ هذا يدرّبني ويعودني أن أتغير اتجاه القرآن فأزيد من قراءتي له وأضاعفها.

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ سأتغير في اتجاه صلاتي، فلن أكتفي بالفرائض والرواتب، بل سأزيد في مقدار النوافل؛ فرمضان يدربني على القيام في كل ليلة من لياليه تدريبا بدنيا قلبيا، لا تقوم به أيّ معاهد الدنيا التدريبية، تدريب على النوافل حيث القيام والركوع والسجود والخشوع والتقوى والهدوء والطمأنينة والسكينة، فكل هذا يغيرني لأزيد من نوافلي وخشوعي لله رب العاملين، هذا هو المعهد الرمضاني الذي أتدرب فيه وأتغير فيه، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه كما في الحديث الصحيح: **(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)**.

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ سأتغير اتجاه إنفاقي لمالي، فلن أكون شحيحاً، ولا ممسكاً، ولا نادر الإنفاق وقليل البذل والعطاء، بل سأتغير لأكون أكثر إنفاقا، سأزيد من نسبة إنفاقي المالي، من صدقاتي، من عطائي، من بذلي، نعم سأتغير في رمضان مع الإنفاق.

فهكذا يدربني المعهد الرمضاني، فقدوتي فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يتغير في إنفاقه في رمضان، فيزيد نسبة الإنفاق، وأنا سأتغير في رمضان فسأزيد نسبة الإنفاق؛ ففي الحديث الصحيح: **"كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل"**.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

نعم، سأتغير في رمضان، ولكن كيف؟ سأتغير في حرصي على مستقبلي في آخرتي، فأعمل على تثقيل موازيني عند الله، فسأتغير في رمضان، ليغير الله سيئاتي، ويبدل خطاياي، سأتغير لأجل أن لا أكون ممن رغم أنفه، بل لأكون ممن تغير قلبه وسلوكه، فرفع رأسه، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الحديث الحسن: (**ورغِم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له**).

سأتغير فأزيد في الطاعات وعمل الصالحات، وأقلل من السيئات وفعل المنكرات، فتكثر الحسنات وتغفر السيئات؛ فأكون، بسببك يا رمضان، في دائرة الإيمان والأمان.

فشكرا لك يا رمضان! فأنت من عرفتُ به نفسي، وأنت من أقنعني بقدرتي على التغيير، وأنت من دربني على مواجهة نفسي، والارتقاء بذاتي؛ فشكرا لك! وشكرا وحمدا لربي الذي أهداك نعمة لنا!.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

في رمضان احذر من ثلاث وأقبل على ثلاث

* الخطبة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإذا جاء رمضان وجّه الله سبحانه نداءً رقيقًا لطيفًا مباركًا لكلّ عبد من عباد الله في الأرض، نداءً خاصًّا برمضان، وخاصًّا للصائمين، كما جاء في الحديث الصحيح: (**إذا جاء رمضان ناد منادٍ -وذلك كلّ ليلة-: يا باغي الخير: أقبل، ويا باغي الشر: أقصر**)، وفي رواية صحيحة في المسند: (**ينادى فيه ملك: يا باغي الخير: أبشر، ويا باغي الشر: أقصر، حتى ينقضي رمضان**).

هذا النداء العلوي الرباني الذي يفيض محبة وهداية، فيه مقصودان عظيمان: فيه بيان لمراد الله من عباده في رمضان، فمراده في هذا النداء: أنْ نُقبل على فعل الخير: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**) [الشمس: 9]، وأن نبتعد عن مواقعة الشر: (**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) [الشمس: 10].

وفيه كذلك بيان للمقصود الأعظم من رمضان ومن تشريعات الرحمن، وهو العمل، لا مجرد القول ولا الحفظ ولا التباهي ولا الأماني، بل العمل، وهذا ما ينبغي لنا أن نركز عليه في رمضان وفي غير رمضان.

وتلبية لهذا النداء الرمضاني الرباني العلوي، وتحقيقًا لمقصوده، فإنني أُحذّر من أمور ثلاث في رمضان، وأدعو إلى أمور ثلاث في رمضان، لعلنا بذلك نلبي هذا الدعاء،

ونستجيب لطلب السماء، وأن نكون من أهل الصيام ومن أهل رمضان، ولعله بذلك أن يكتمل صيامنا، وأن يعظم أجرنا، وأن تكثر خيراتنا، وأن تقل خطيئاتنا.

أمّا الثلاث التي يجب أن نحذر منها في رمضان:

فأولها: احْذر- أيها المسلم- أن تبقى كما أنت، ما معنى هذا؟! احذر أن تبقى في رمضان كما كنت قبل رمضان، احذر أن يبقى مستوى إيمانك في رمضان كما كان قبل رمضان، احذر أن تكون معاصيك في رمضان كما كانت قبل رمضان، كنت قبل رمضان مقصرًا بالصلاة، وبقيت في رمضان مقصرًا بالصلاة، كنت قبل رمضان عاقًّا لوالديك، قاطعًا لرحمك، وبقيت في رمضان عاقًّا قاطعًا، كنت قبل رمضان منغمسًا في مشاهدة المنكرات على الفضائيات، وبقيت في رمضان منكبًّا عليها، فلم تتغير في رمضان، بقيت أنت أنت، بقيت طاعاتك محدودة كما كانت، وبقيت معاصيك معروفة كما كانت، فحالك هي حالك قبل رمضان وفي رمضان، لم تتغير، ولم تحقق مقصود رمضان، ولا مطلب الرحمن في رمضان، وهو: أن تقبل على الخير وأن تقصر عن الشر.

أيها المسلم: إذا بقيت حالك هكذا لم تتحسن ولم تتغير، فاعلم أنك على خطر عظيم، واعلم أن خطبك جسيم، لماذا؟!

أولاً: لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بأن الشياطين تصفّد في رمضان؛ فقد قال كما في الصحيح: (**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفّدت الشياطين**)، فإذا ضُمن لك أن الشياطين الوسواسة الخناسة الشريرة، التي تتربص بعباد الله خاصة، قد صفّدت وغلّت وربطت ومنعت، أو ضعفت عن الوسوسة لك، وتزيين الشرّ والمعاصي في عينيك، وتثقيل الطاعات على قلبك في رمضان كما كانت تفعل ذلك بك قبل رمضان، فقل لي: لماذا بقيت حالك على ما كانت عليه؟! لماذا لم يتحسن إيمانك؟! لماذا لم تزدد طاعاتك؟! لماذا لم تقلّ معاصيك؟!

إن هذا مؤشر خطير؛ لأنه لم تبق إلا نفسك الأمارة بالسوء، وهذا دليل على حجم الرّان الذي على قلبك، ولذلك- أخي المسلم- تدارك نفسك، تدارك نفسك، واطلب من الله الرحمة والمساعدة، وخالف نفسك الأمارة وألزمها بالطاعة وافطمها عن المعصية.

وثانيًا: أنت على خطر عظيم إن بقيت حالك على ما هي عليه قبل رمضان، فلا طاعاتك زادت ولا معاصيك قلّت، لماذا أنت على خطر؛ لأنّ دعوة أمين الملائكة جبريل عليه السلام قد أصابتك، نعم، أصابتك حينما عرَض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح وهو يرتقي منبره: (**فقال: يا محمد: من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، قلت: آمين**).

نعم، هذا دعاء جبريل عليه السلام، وهذا تأمين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على ذلك المقصر والمهمل والمضيع لرحمات ونفحات ربه في رمضان.

وثانيها: احذر- أيها المسلم- من تسويد ليل رمضان، احذر من مسوّدات ليلك في رمضان، فأنت قد نوّرت نهارك ونوّرت بيتك ونوّرت قلبك بالصيام في نهار رمضان وبالقرآن وبالذكر وبرضا الرحمن، فلا تسوّد ليلك بالمعاصي الليلية، فاحذر الفضائيات المنحلة، وشاشات الإنترنت الفاسدة، فلا تمضِ وقتك بالليل أمامها.

ويا أيها الأب: اتق الله في صيامك وفي صيام أولادك وفي صيام زوجتك، اتق الله في نهارهم الذي أمضوه عابدين، فلا تسوّد ليلهم بالقنوات والبرامج المنكرة، لا تسمح إلا بالنافع المفيد لك ولهم في نهار رمضان وفي ليله، وكن القدوة والمسؤول وصاحب القرار، وكن الحريص على أوقاتهم من أن تضيع أو تلوث، فهناك عديد من القنوات الإسلامية والبرامج الرمضانية الهادفة، فاجعلها سبيلك واجعلها من المنيرات لليلك وليل أسرتك، لا من مسودات لياليكم في رمضان.

وثالثها: احذر- أيها المسلم- من مُبيد الصيام، ومن مُبيد أجر الصيام، ومن محرقة حسنات الصيام، هناك شيء إن فعلناه نسف أجر صيامنا وجوعنا وعطشنا وصبرنا،

أتعرفون ما هو؟! إنه اللسان، اللسان الكاذب، اللسان المفتري، اللسان السليط على عباد الله، اللسان المزَوِّر للحقائق، ألم يقل نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه"؟! ألم يخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث المفلس، أن أجر الصيام سيضيع وسيذهب لأولئك الذين آذتهم ألسنتا؟! ألا فلنتق الله في ألسنتا، ألا فلنتق الله في صيامنا أن يذهب أجره إلى غيرنا، أو أن لا نحصد منه إلا الجوع والعطش بسبب ألسنتنا المنفلتة.

وفي المقابل- أيها الأخ الحبيب، أيها العبد الصائم، أيتها المؤمنة الصائمة- أقبل في رمضان الخير والبركة على ثلاث:

أولها: أقبل على كلام ربك، كلام إلهك، كلام معبودك، كلام الحق سبحانه، اقرأه بلسان وأذن وقلب من يوقن أن هذا كلام ربه، وأنّ الذي يتكلم في الآيات هو الله جل جلاله: **(اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ)** [الزمر: 23]، أقبل بهذه الحال، ولكن في رمضان في شهر القرآن لا بد أن يزيد إقبالك على القرآن، ووقتك المصروف للقرآن، لا بد -أيها الصائم- أن يكون للقرآن الحظ الأوفر من وقتك ومجالسك في رمضان، ألم يقل لك نبيك كما في الحديث الصحيح: **(اقرؤوا القرآن)**، فلنقرأ ولنكثر ونكثر في رمضان.

وثانيها: أقبل على الدعاء الخالص والدعاء الواسع، فلك دعوات مستجابة؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة"، فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا.

فأقبل على الدعاء الخالص الحار من قلبك وبكثرة، ادع لنفسك ولأهل بيتك بخيري الدنيا ولآخرة، ولكن أذكرك بأن لا تنسى والديك ولا المجاهدين في سبيل الإسلام والقائمين على أمره، فخصهما بالدعاء الصادق، وتضرع في دعائك، ولا تجعله مجرد

كلمات تمرّ على لسانك: (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**) [الأعراف: 55].

وثالثها: أقبل على السجود وأكثر منه، إنها أوقات رمضانية قد لا تجد لها مثيلاً، وقد لا تجد لنفسك نشاطًا في غيرها، فاغتنمها، بأن تكثر من السجود، وخاصّة في وقت السحر وعند قيامك للسحور، فلا تقتصر على تناول طعام السحور، بل أكثر في هذا الوقت من السجود ومن الاستغفار في السجود؛ فهذا وقت لا مثيل له، فتهجد واخشع وأطل السجود لربك الجليل، نعم، أكثر السجود وأقبل عليه في رمضان وفي صلاة التراويح، اجعلها صلاة كاملة لا تنقص منها شيئًا، صَلّها مع الإمام حتى يُكْمِل، وصَلّها طوال الشهر لا تنقص، نعم، أكثر من السجود وأقبل عليه، فقد قال لك نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: (**عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لن تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجةً، وحط عنك بها خطيئة**).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

هذه وقفات، وهي تلبية لنداء السماء في رمضان على أهل الأرض من قبل رب السماء والأرض، حينما أمر أن ينادى فيقال: "**يا باغي الخير: أقبل، ويا باغي الشر: أقصر**".

جعلنا الله من الملبّين لندائه، الذين يقبلون على الخير في رمضان، ويبغون فعل الخير، ومن الذين يقصرون عن فعل الشر، ويبتعدون عن مواقعة كل ما يضر.

اللهم اقبلنا، وتقبل أعمالنا، وارض عنا وعن والدينا وأهلينا أجمعين.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

الزكاة: معززات بذلها ومرهبات منعها

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المسلمون: الزكاة لها في الشريعة أحكامها الفقهية، ولها أيضًا نصوصها الترغيبيّة والترهيبيّة، فالشرع كما بيَّن الأحكام الفقهية المتعلّقة بالزكاة، أرشد كذلك إلى دوافع إخراج الزكاة، وعالج موانع إخراجها، وحذّر من التوقف والإمساك عن بذلها، وفي هذه الخطبة، نتحدث عن دوافع أداء الزكاة بإظهار المرغّبات التي تشجّع على دفع الزكاة، وإبراز المرهّبات التي تقف في وجه من يتردد في إخراج الزكاة. كلّ هذا رجاء أن يلتزم المسلمون بأحكام الخالق سبحانه على الوجه الذي يرضيه تعالى.

عباد الله: تذكروا اسم الزكاة ومعنى هذا الاسم عند العرب، فالزكاة في لغة العرب معناها الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح، وهذه المعاني كلها جاءت في القرآن والسنة. فهو اسم جميل يحمل معاني جميلة رقراقة، تبعث في النفس الراحة والأمل والطيب وانتظار الهناء والخير، هكذا هو اسم الزكاة، وهكذا هو معناها، فليس اسمها جباية ولا ضريبة ولا مكوس.

أيها المسلم: من أعظم ما يدفعك لتؤدي زكاة مَالِكَ أن تتذكر أن الزكاة ركن من أركان الإسلام، نعم، فأنت حينما تؤدي زكاة أموالك تكون قد حقَّقت ركنًا عظيمًا من أركان الإسلام، فهنيئًا لك ذلك. ففي صحيح البخاري، قالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**)، نعم، الزكاة مقامها ركن من أركان الإسلام ومن دعائمه العظام.

أيها المسلم: من أعظم ما يدفعك لتؤدي زكاة مَالِكَ أن تعظِّم خطاب الزكاة في كلام الله العظيم. فربك العظيم حينما خاطبك بفريضة الزكاة قرن بينها وبين فريضة الصلاة في أكثر من خمسة وعشرين موضعًا من كتابه العظيم. فأي تعظيم هذا لقدر الزكاة. قال تعالى: (**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ**)[البقرة: 110]، وقال تعالى: (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**)[التوبة: 18]، وقال تعالى في ربط محكم بين الصلاة والزكاة واليوم الآخر: (**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**)[النمل: 3].

وجاء خطاب الزكاة منفردًا في ثلاثة مواضع من كتاب الله، منها، قوله تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**)[الأعراف: 156].

وجاء خطاب الزكاة بمواضع عدة بلفظ الصدقة والصدقات، كما في قوله تعالى: (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**)[التوبة، 103].

فيا أيها المؤمن ألا يكفيك أن يخاطبك ربك العظيم في كتابه العظيم بفرضية الزكاة عليك في عشرات المواضع منذ العهد المكي إجمالاً إلى العهد المدني تفصيلاً.

يا أيها المسلم: ألا يكفيك أن يخاطبك نبيّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مئات المواضع كما في السنّة، ليكون هذا دافعًا كافيًا لك لتؤدي الزّكاة الواجبة في أموالك. خاطبك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنه بيّن وجوب قتال من يمنع الزكاة، ففي صحيح البخاري، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: "لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ

كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِّ**)، فَقَالَ: وَاللهِّ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِّ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا".

يا عباد الله: ألا يكفينا ذاك الوعيد الشديد من الربّ سبحانه الذي توعّد بها مانعي الزكاة، بكلام عظيم يُتلى إلى يوم القيامة، فاستمع معي ماذا يقول ربّ العاملين: (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِّ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**)[التوبة، 34-35].

قال السعدي: "(وَالَّذِينَ يَكْنِزونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) أي: يمسكونها (وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِّ)، أي: طرق الخير الموصلة إلى اللهّ، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل اللهّ إذا وجبت، (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ثم فسره بقوله: (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا) أي: على أموالهم، (فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فيحمى كل دينار أو درهم على حدته، (فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: (هَذَا مَا كَنزتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنزونَ) فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز". وكل مالٍ لا تؤدى زكاته يطلق عليه شرعًا كنز.

يا عباد الله: يا مَنْ تؤمنون بالآخرة، يا مَنْ تؤمنون بلقاء الله: يا لها من صورة مريعة ذكرها لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن يمنع زكاة مالة، ويا له من مشهد مرعب

حقًّا بيَّنه لنا رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيقع لأولئك الذين يمتنعون عن دفع زكاة أموالهم، فاستمع معي بل وشاهد معي بقلبك وعين بصيرتك. ففي صحيح مسلم، عن أبي أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ)**.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِّ فَالإِبِلُ؟ قَالَ: "وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ).

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِّ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: "وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ وَلاَ عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ).

الله أكبر، أيّ نوع من العذاب هذا، وأمام الخلائق، ولفترة زمنية طولها، كم؟ كم؟ خمسون ألف سنة، إنه زمان أطول بآلاف المرات من عمرك يا من لم تخرج زكاة أموالك، إنه زمان أطول بكثير من فترات تنعّمك بمالك، ألا فاستيقظ يا مانع الزكاة، ولتبادر عاجلاً عاجلاً إلى إخراج زكاة أموالك قبل أن تغادر هذه الحياة.

يا أيها المسلم: يا من تمنع زكاة مالك بخلاً وشحّاً، فنفسك الأليمة الشحيحة لا تطاوعك أن تخرج هذا المال، تأبى عليك نفسك بخلاً أن تدفع الزكاة لمستحقيها،

استمع ماذا قال الله لك، لعلك ترتدع، لعلك تقاوم نفسك الأمارة الشحيحة، لعلك تخرج من عتمة بخلك، يقول ربك العظيم في أمثالك: (**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[آل عمران، 180].

وفي البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلا: (لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**).

أهذا الشح والبخل الذي يمنعك الزكاة وما سيقودك إليه خير أم قول ربك سبحانه لك: (**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[الحشر: 9].

أيها المسلم: الزكاة ليست خسارةً لجزء من مالك، إيّاك أن تكون من هؤلاء الذين ينظرون إلى الزكاة نظرة مادية بحتة، على أنها نقص من أموالهم، فهذه نظرة الأعراب الذين ذمّهم الله في كتابه فقال فيهم: (**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا**) [التوبة، 98]، قال السعدي: "فمنهم (مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) من الزكاة والنفقة في سبيل اللهّ وغير ذلك، (مَغْرَمًا) أي: يراها خسارة ونقصًا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه اللهّ، ولا يكاد يؤديها إلا كرها".

أيها المسلم: أخرجْ زكاة مالك، فالمال هو مال الله، قال الله تعالى: (**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**)[النور: 33]. انظر ماذا يقول ربك: (مِنْ مَالِ اللهَّ) قال الآلوسي: "وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه تعالى إيّاهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به،

فإنّ ملاحظة وصول المال إليهم من جهته سبحانه مع كونه عز وجل هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها".

أيها المسلم: أخرجْ زكاة مالك، وصدّق كلام ربّك وكنْ على يقين بوعده، حينما قال لك: (**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**)[سبأ، 39]، تأمّل قوله سبحانه: (فَهُوَ يُخْلِفُهُ). قال أهل التفسير: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)، "أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه عليكم، يعطي بدله وما يقوم مقامه عوضاً عنه: في الدنيا بالبدل بالمال كما هو الظاهر، أو بالقناعة، أو بغير ذلك من الخيرات والبركات، وفي الآخرة بالجزاء والثواب"، و"جملة: (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) تذييل للترغيب والوعد بزيادة، لبيان أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق".

أيها المسلم: لقد رغبّك ربك أيما ترغيب وعززك أيما تعزيز لتخرج زكاة مالك عن طيب نفس ورضا، فوعدك وعدًا لا يمكن أن تسمعه من مخلوق في حياتك أيّا كان مُلْكه وسلطانه، وعدك ربك الرزاق سبحانه بأنْ يضاعف ويضاعف لك أجر هذا المال الذي تزكيه، فإنْ كان في الأصل يستحق ألف حسنة وإذا بالله يضاعفه لك ليصبح سبعمائة ألف حسنة، فأيّ جزاء هذا ينتظرك، قال ربك سبحانه: (**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**)[البقرة: 245].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الصحيح: "من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف".

وفي صحيح مسلم، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**).

أيها المسلم: أخرج زكاة مالك عن طيب نفس ورضا، فينتظرك جزاء تطير له القلوب، فاستمع إلى رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يرغِّبك ويُعزّز فيك إخراج زكاة أموالك وصدقة أموالك، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح البخاري: (**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**).

فبيَّن لك أنّ الزكاة والصدقة لا تبقى بحجمها الطبيعي، ولا بوزنها المادي، ولا بقيمتها وثمنها الدنيوي. بل تكون في حال نمو وزيادة وتكاثر إلى ما شاء الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها المسلم: قدّم البرهان على صدق إيمانك، وبرهانك هو زكاتك لأموالك، لقول رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم: (**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**)، أي: دليل على إيمان صاحبها.

أيها المسلم! أخرجْ زكاة أموالك، فالجزاء من جنس العمل، ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**قَالَ اللهُ عز وجل: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**).

أيها المسلم! أخرجْ زكاة أموالك، فالزكاة تطهّر نفسك من الشّحّ والبخل والخبث، وتزكيها وتنميها وترتقي بها، قال تعالى: (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**)[التوبة: 103].

أيها المسلم: أخرجْ زكاة أموالك، فالزكاة تطفئ خطاياك وتكفِّر ذنوبك، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الترمذي وحسنه الألباني: (**والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**).

أيها المسلم: أخرجْ زكاة أموالك، فالزكاة تُنْجيك من حَرِّ يوم القيامة، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسند أحمد وإسناده صحيح: "كلُّ امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس".

أيها المسلم: أخرجْ زكاة أموالك، فالزكاة يحصل بها قضاء حوائج عائلات فقيرة، ويفرَّج كربات عظيمة، ويستر بها على بيوت كريمة. فهنيئًا لك يا من تكون أهلاً لذلك، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم: (**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**).

أيها المسلم: أخرجْ زكاة أموالك، فالزكاة سببُ لتحظى بدعوة ملَك كريم من ملائكة الله، وأيّ حظوة هذه أنْ يخصّك ملَك بدعوة. ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**).

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

تحقيق التوحيد في صيام رمضان "في خمسة عشر مقاما"

* الخطبة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمنون بالله العظيم: رمضان إيمانٌ، رمضان عقيدةٌ، رمضان توحيدٌ، رمضان عبوديةٌ، رمضان سلوك،

نعم؛ إنه رمضان، وهكذا هو رمضان؛ فرمضان كما هو في ظاهره سلوك، هو أيضا عقيدة وإيمان وتوحيد، وفي هذا الخطبة نريد أن نعطي رمضان حقه مع عقيدة التوحيد، نريد أن نربط ما بين رمضان وعقيدة التوحيد، نريد أن نحلل مقامات التوحيد في رمضان، نريد أن نستجلي مظاهر التوحيد في رمضان، نريد أن نجعل من صيامنا توحيداً للخالق سبحانه، نريد أن نحقق التوحيد من خلال رمضان.

نعم؛ فرمضان ليس هو فقه وأحكام فقط، بل هو قبل ذلك وبعد ذلك ومع ذلك، توحيد؛ فكيف يمكن تحقيق التوحيد في صيامنا لرمضان؟ وكيف يمكن أن نشهد مقامات التوحيد في رمضان؟

أيها المؤمنون بالله العظيم: يتحقق التوحيد في رمضان بأن نعتقد ابتداء بأن الذي شرع رمضان هو؛ الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)** [البقرة:183].

وهذه من أعظم حقائق التوحيد أن تعتقد بأن المشرّع هو الله تعالى، وأن الآمر للعباد والناهي لهم، والمحلّل لهم والمحرّم عليهم، هو الله عز وجل؛ فما شرعه لهم من شأن رمضان وما أمرهم فيه وما نهاهم عنه فيه، وما أحله لهم في ليالي رمضان وما حرمه عليهم في نهاره، كما في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾[البقرة:187]، وقال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾[البقرة:187]، كل هذا اعتقاده، من توحيد الله. من توحيد الله في ربوبيته؛ فهو الخالق، وله الحق في التشريع للمخلوق، قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[آل عمران:54]، وهنا أيها الصائم حينما تعتقد ذلك تحقق التوحيد وترد على الماديين والعلمانيين والمستشرقين الذين يشككون في شريعة الصوم وغاياتها وحكمتها.

أيها المؤمنون بالله الحكيم: إن من تحقيق التوحيد في رمضان؛ تحقيق الطاعة فيه والاتباع والعبودية، وهذا من تحقيق توحيد الألوهية الذي هو: إفراد الله تعالى بحق العبادة وحق الطاعة المشروعة؛ فحينما يقوم المؤمن بطاعة الله؛ فيصوم رمضان، امتثالا لأمر الله تعالى، وعندما يتبع في تطبيق صيام رمضان ما جاءت به السنة، اتباعا لهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندما يقصد من طاعته تلك واتباعه هذا تحقيق العبودية لله، امتثالا لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾[البقرة:185]؛ فذلك كله تحقيق لتوحيد الألوهية.

يا أيها المؤمن: ومن تحقيقك للتوحيد في صيامك رمضان؛ أنك تصوم هذا الشهر، إيمانا منك بالله تعالى، وتصديقا بألوهيته، وتصوم أيام رمضان محققا التوحيد في قلبك من خلال إخلاصك لله سبحانه، وهذا المقام من تحقيق التوحيد في صيامنا لرمضان، قد جاء به الحديث النبوي الصحيح، كما في البخاري أن رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، وجاء في فتح الباري: "والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى"، وفي شرح النووي: "مَعْنَى (إِيمَانًا) تَصْدِيقًا بِأَنَّهُ حَقّ مُقْتَصِد فَضِيلَته، وَمَعْنَى (اِحْتِسَابًا) أَنْ يُرِيد اللَّهَ تَعَالَى وَحْده لَا يَقْصِد رُؤْيَة النَّاس، وَلَا غَيْر ذَلِكَ مِمَّا يُخَالِف الْإِخْلَاص".

ومما لا شك فيه أنّ الإخلاص من أعظم حقائق توحيد الألوهية، وأنّ التصديق والاعتقاد بأن الله تعالى هو من أمَرَني بالصيام هو من أَجَلِّ حقائق التوحيد.

أيها المؤمن بالله العظيم: يتحقق التوحيد في صيام رمضان؛ حينما يُعظّم المؤمن شهر رمضان، حينما يستشعر المسلم حُرْمة هذا شهر رمضان؛ فتعظيمك لرمضان هو من تعظيمك لشعائر الله، وتعظيمك لشعائر الله هو من تعظيمك لله تعالى، وتعظيمك لله تعالى هو من تحقيقك للتوحيد، قال تعالى: (**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**)[الحج:32]، وهذا من حقيقة توحيد الله في أسمائه وصفاته، قال تعالى: (**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**)[الواقعة:74].

أيها المؤمنون بالله الخالق: إنّ من عجيب تحقيق التوحيد في رمضان، هو؛ ما جعله الشارع من ارتباط دخول رمضان، وثبوته، ووجوب صومه، بحركة هذا الكون المادي. حيث أناط الشرع ثبوت شهر رمضان برؤية الهلال، وهذا فيه تحقيق لتوحيد الله تعالى في ربوبيته حيث حركة القمر وتغيّره وخفاؤه وظهوره، وتحقيق لتوحيد الألوهية حيث وجوب الالتزام بالصوم حينما يبان هلال شهر رمضان؛ فالله أكبر، كيف يحقق المؤمن توحيد الربوبية؛ حينما يعتقد بالخالق مسيرا للقمر ومنظما لحركته، وكيف يحقق توحيد الألوهية حينما يطيع ربه؛ فيصوم الشهر حينما يظهر هذا القمر هلالا؛ فاجتمع هنا خلق الكون(القمر) وتشريع الأمر(الصيام)؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في

الحديث الصحيح: "إذا رأيتموهُ-القمر هلالا- فصوموا"، وقال الخالق سبحانه: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)**[البقرة:189]؛ فسبحانك ربي ما أعظمه، وما أعظم شأن التوحيد وحقائقه العجيبة.

أيها المؤمنون: إن حقائق التوحيد العظيمة التي تتحقق في رمضان، وتظهر في صيامنا لرمضان، هي مخالفة أهل الكفر وأهل الضلال وعدم التشبه بهم.

نعم؛ فالمؤمنون بالتزامهم بأحكام الصيام واتباعهم للهدي النبوي، يكونون بذلك أمّة متميزة، لها هويّتها، لا تقع بالتشبّه مع أهل الكفر في تديّنهم وتعبّدهم وتنسكّهم، بل يكونون أمة لها خصوصيتها في تحقيقها لعبودية ربها وتوحيده.

ومن ذلك اتباع الشرع في تعجيل الإفطار وعدم تأخيره؛ وذلك من أجْلِ أن نخالف اليهود والنصارى في ذلك؛ ففي الحديث المتفق عليه؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**)، وفي السنن وصححه النووي وغيره عن أبي هريرة مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، إن اليهود والنصارى يؤخرون**).

قال شراح الحديث: الحديثان "يدلان على مشروعية تعجيل الإفطار، وفيه مخالفة لليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا يؤخرون الإفطار، ولهذا أكد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تعجيل الفطر في أحاديث كثيرة؛ كي لا يقع المسلمون في التشبه بهم، وقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر وإسناده جيد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**من تشبّه بقوم فهو منهم**).

وقال ابن تيمية: "وقد صرح بذلك فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر؛ لأن

اليهود والنصارى يؤخرون، وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى".

وإذا كان مخالفتهم سببا لظهور الدين؛ فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله؛ فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة"، وفي الحديث كذلك ردّ على الروافض الذين يؤخرون الفطر حتى تظهر النجوم، وعند ابن خزيمة وابن حبان عن سهل مرفوعاً: (**لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر النجوم**) (صححه ابن خزيمة وابن حبان).

أيها المؤمنون: هل تعلمون أنّ تحقيق التوحيد في رمضان؛ يكون في سحورك أيها المؤمن؛ نعم، هل تعلم أيها المؤمن أن سحورك فيه مقام من مقامات التوحيد، وذلك بمخالفتك لأهل الكتاب وعدم التشبه بهم في تديّنهم وعباداتهم، وهذا من أعظم جوانب تحقيق التوحيد؛ فتأمّل معي ذلك في الحديث الذي يرويه مسلم أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَر**).

قال النووي: "مَعْنَاهُ: الْفَارِق وَالْمُمَيِّز بَيْن صِيَامنَا وَصِيَامهمْ السُّحُور؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَتَسَحَّرُونَ وَنَحْنُ يُسْتَحَبّ لَنَا السُّحُور، وَأَكْلَةُ السَّحَرِ هِيَ السَّحُور".

وجاء في تحفة الأحوذي: "وَالْمُعْنَى أَنَّ السُّحُورَ هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى أَبَاحَهُ لَنَا إِلَى الصُّبْحِ بَعْدَمَا كَانَ حَرَامًا عَلَيْنَا أَيْضًا فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ يَنَامُوا أَوْ مُطْلَقًا، وَمُخَالَفَتُنَا إِيَّاهُمْ تَقَعُ مَوْقِعَ الشُّكْرِ لِتِلْكَ النِّعْمَةِ".

وقال ابن تيمية: "وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع"؛ فالسحور مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ في صَوْمِها، وفيه تحقيق للتوحيد، ففي فعله مُخَالَفَةً

لأَهْلِ الكِتابِ؛ لأَنَّهُم لا يَتَسَحَّرُون، ومُخَالَفَتُهُم أَصْلٌ عَظِيمٌ من أُصُولِ دِينِنا؛ ولِذا حُرِّمَ التَّشبُّه بهم في شَعَائِرِهِم ومَا اخْتُصُّوا به مِنْ عَادَاتِهِم وأَخْلاقِهِم.

أيها المؤمنون: إن من حقائق التوحيد المرتبطة بشهر رمضان؛ اليقين بما يحدث من أفعال الله في عوالم الغيب؛ فبسبب دخول رمضان يجري الله تعالى أحداثا غيبية عجيبة، يجب علينا تصديقها والجزم بحدوثها. وهذا كما أخبر به الوحي؛ ففي الحديث الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**)؛ فهنا نوقن يقينا جازما بربوبية الله تعالى للعالمين، ومن ذلك أنه يحدث تغييرا لعالَم الجنة والنار في رمضان؛ فتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، كما تظهر قدرة الله تعالى العظيمة في تقييده لعالم الجن؛ حيث تصفّد الشياطين وتغلّ بالقيود، وكلّ هذا من أفعال الله تعالى التي هي من ربوبيته، وأسمائه وصفاته الدالة على أفعاله وإرادته وقدرته وقوته سبحانه وتعالى، والمؤمن الصائم يصدق بحدوث ذلك كله في عالم الغيب رغم أنه لا يراه بل يقينا بالوحي وإيمانا بالله وصفاته سبحانه.

يا أيها المؤمن: ومن تحقيقك للتوحيد في صيامك رمضان؛ معرفتك اسم الله الغفور، وتصديقك بصفة المغفرة وآثارها الواقعة لك بسبب صيامك وقيامك؛ فمن توحيد الأسماء والصفات الظاهرة في صيامنا لرمضان، توحيد الله باسمه الغفور؛ فكما في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)؛ فهنا من تحقيق الصائم للتوحيد أن يصدق بمغفرة الله تعالى التي هي من تجليات وآثار اسمه الغفور جزاء على صيام العبد وجزاء على قيامه شهر رمضان،

فمن التوحيد أن نثبت لله اسم الغفور وصفة المغفرة وآثارها في حق من يصوم ويقوم من مغفرة الذنوب.

عباد الله: ومن تحقيقنا للتوحيد في صيامنا رمضان، أن نعتقد أن الله تعالى ليس بحاجة إلى صيامنا، حتى لو كان صيامنا مبرورا. بل نحن الفقراء إلى الله تعالى، ولذلك لا بد أن نفهم معنى الحاجة المنسوبة إلى الله في أحاديث الصيام فهما سليما؛ ففي صحيح البخاري أن رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهَّ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)**؛ فلا يفهم من الحديث أن من ترك قول الزور والعمل به؛ فإن الله بحاجة لصيامه.

يقول العلماء في فقه الحديث: "قوله (فليس لله حاجة): "هذا لا مفهوم له؛ فلا يقال يفهم منه أنه إذا ترك قول الزور والعمل به والجهل فلله فيه حاجة. هذا الحديث لا مفهوم له؛ لأن الله غني عن العباد، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهَّ وَاللهَّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)**[فاطر: 15].

فالله غني غنىً مطلقاً من جميع الوجوه؛ فلا يحتاج ربنا جل وعلا إلى أحد من عباده، وإنما خلقهم ليعبدوه لم يخلقهم من قلة؛ فيستكثر بهم، ولا من ضعف ليستنصر بهم، ولا من وحشة؛ فيستأنس بهم؛ فمن ظن هذا فقد ظن بربه ظن السوء، وهذا من أقبح أنواعه وهو كفر باتفاق أهل العلم؛ فالمعنى إذاً أن من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل؛ فالله غني عن إمساكه عن الطعام والشراب"؛ فهذا من تحقيق التوحيد في صيامنا، أن نفقه أن الله لا يحتاج إلى صيامنا وإن كان صيامنا يُرضيه سبحانه عنا.

عباد الله: ومن تحقيقنا للتوحيد في صيامنا رمضان؛ أن نعتقد أن الله تعالى يطعم الصائم الذي يأكل ناسيا، ويسقي الصائم الذي يشرب ناسيا، وهذا من توحيد الربوبية الذي

من معانيه تدبير الله تعالى أمور الخلق. ففي الصحيح قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**)، وفي رواية الترمذي: "فإنما هو رزق رزقه الله"؛ فنعتقد اعتقاد جازما أن هذا من ربوبية الله تعالى لعباده الصائمين؛ فهم يَنْسُون بإذنه، وهم يأكلون ويشربون حال نسيانهم هذه بتقدير الله وإذنه وإطعامه سبحانه لهم وسقياه لهم، بأن يسّرَ لهم ذلك ورزقهم إياه وساقه إليهم كما ساقهم إليه، قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**) [الشعراء:78-79].

عباد الله: ومن تحقيقنا للتوحيد في صيامنا رمضان؛ أن نوحّد الله تعالى باسمه الرحمن وبصفته الرحمة، وذلك من توحيد الأسماء والصفات، وهذا النوع من التوحيد ظاهر؛ فيما شرعه الله تعالى من الرخص الرمضانية لعباده المكلفين بالصيام؛ فهو من رحمته سبحانه رخّص لأصحاب الأعذار الفطر في رمضان ولم يكلفهم فوق طاقتهم؛ فجعل الرخصة بالإفطار للمسافر وللمريض ولكبير السن العاجز ولمن يلحق بهم ممن لا يطيقون الصيام، قال تعالى: (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**)[البقرة:185]، وفي صحيح مسلم عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللهَّ أَجِدُ بي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ في السَّفَرِ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**هي رُخْصَةٌ مِنَ اللهَّ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ**).

عباد الله: ومن تحقيقنا للتوحيد في صيامنا لرمضان؛ أن نصدق بأن الله تعالى يُصلّي على عباده الذين يتسحّرون، وصلاته عليهم هي ثناء منه سبحانه عليهم، وهذا من توحيد الله تعالى في صفاته وأفعاله؛ ففي الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان وصححه

الألباني، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ اللهَ ومَلائِكتَهُ يُصَلُّونَ عَلى المُتَسَحِّرِين)**.

عباد الله: ومن تحقيقنا للتوحيد في صيامنا لرمضان؛ أن نتعبد الله تعالى بعبادة الدعاء، والدعاء من أعظم حقائق توحيد الألوهية، وله أفضليته الكبرى في رمضان، حيث للصائم دعوة مستجابة، وهذا كما في مسند أحمد وإسناده صحيح، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لكُلِّ عَبدٍ مِنْهُم دَعوَةٌ مُستَجَابَةٌ)**، قال الله تعالى: **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)** [غافر:60].

أقول قولي هذا، وأستغفر الواحد الأحد.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها المؤمنون: إن من حقائق التوحيد العظمى المرتبطة بالصيام؛ أن يصدق العبد الصائم تصديقا جازما بأنه سوف يفرح فرحة خاصة عند اللقاء بالله سبحانه تعالى، وهذه الفرحة سببها صومه لرمضان بشكل خاص، وهذه الفرحة يفرحها لما يقابل الكريم سبحانه في الدار الآخرة؛ ففي صحيح البخاري، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)**.

قال ابن رجب: "فيما يجد عند الله من ثواب الصيام مدخراً فيجده أحوج ما كان إليه".

وقال النووي: "وأما فرحته عند لقاء ربه فبما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله تعالى بتوفيقه لذلك".

أيها المؤمنون: وإنّ من حقائق التوحيد العظمى التي انطوى عليها شهر رمضان هي: حقيقة التصديق بجزاء الصيام الغيبي، بجزاء القيام بالتوحيد العملي، وهو العمل

بفريضة الصيام، وهو تخصيص باب للصائمين من أبواب الجنة الثمانية واسمه باب الريّان.

وهذا الجزاء من الغيب الذي ادخره الله لعباده الصائمين؛ فنحن نؤمن بذلك ونعتقد به تصديقا بخبر الوحي الغيبي، وهذا من التوحيد، ومن التصديق بجزاء أهل التوحيد؛ ففي صحيح البخاري قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**).

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

تزيين يوم الصيام بِسنن خير الأنام

* الخطبة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمنون والمؤمنات: يحرص المؤمن الصائم على تحقيق الكمال في صيامه، على أن يأخذ علامة مرتفعة على يومه الذي صامه، وهذا هو فعل المؤمن العاقل، وحرص المسلم الطامع بإرضاء الله تعالى؛ فالصيام أصله الامتناع عن المفطرات، ولكن المؤمن العامل الراجي الفوز في الآخرة، يحرص على أن يتمِّم صيامه المادي هذا بكل عمل طيب من شأنه أن يرتقي بصومه ويحسّنه ويطيّبه؛ فيجعله يرتفع إلى الله تعالى وهو مُزيّن بأكمل الطاعات ومُجَمّل بأروع الوصفات. لينال بذلك العلى من الدرجات.

أيها المؤمنون والمؤمنات: حتى يكتمل صيامنا ويتجمّل ونفرح به؛ فأدعو نفسي وأدعوكم لنزيّن كل يوم نصومه من أيام صومنا في شهر رمضان، نزيّنه بسنن خير الأنام، بسنن نبينا وحبيبنا وقدوتنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيصبح يوم صومنا يوما موشّحا بالهدي النبوي، ومحمّلا بالسنن النبوية، ومزيّنا بأجمل زينة وأعطر حلّة؛ فيرتقي إلى السماء يحمل معه كل مقومات القبول والكمال والرضا.

أيها الصائمون: حينما تقوم من فراشك لأجل السحور؛ فما أعظم أن تزيّن قيامك واستيقاظك وافتتاحك ليومك الجديد، بسنة نبيك وحبيبك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن تقول مثل ما كان يقول إذا استيقظ من فراشه؛ ففي صحيح البخاري عَنْ حُذَيْفَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: (**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**).

أيها الصائمون: زيّن يوم صيامك، بأن تستقبله بسنة السحور، نعم، بسنة السحور؛ فإنها من حُلَل الصيام ومن زِينته ومن كماله ومن جماله، ولا يغرنّك أولئك الذين يستهينون بسنّة السّحور؛ فلا يتسّحرون، فإنه قد فاتهم خير عظيم، وقد تركوا حلّة جميلة يلبسونها يوم صيامهم هذا، أما أنت أيها المؤمن الكريم، وأيتها المؤمنة الكريمة فتستقبل يوم صيامك وقد زيّنته وجمّلته بسنّة حبيبك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي سنّة السّحور، فتقوم وتتسحر استجابة لدعوة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل كما جاء في مجموعة من الروايات الثابتة في كتب السنن: (**تَسَحَّرُوا**)؛ فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرادك أن تأكل على السحور؛ فإذا تسحرت تكون بذلك قد زينت صومك بهذه السنة النبوية الطيبة، وتكون البركة قد حلّت في صيامك؛ فكما في الحديث الصحيح، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُور بَرَكَةً**)، والبَرَكَةُ هي ثُبُوتُ الخَيرِ الإلَهي في الشَّيءِ وكَثرَتُهُ واسْتِمْرَارُهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيء، والله تعالى يُبَارِكُ مَا شَاءَ مِنْ خَلقِهِ، وفي الحديث ثُبوتُ البَرَكَةِ في السُّحُورِ، ومن ذَلكَ: مبُاركَةُ السُّحُور: والبركة في السحور تحصل بجهات متعددة منها: قوَّةً على الصِّيَامِ، وعلى طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ في النَّهارِ، ومُدَافَعَة سُوءِ الخُلُقِ الَّذِي يَنتُجُ عَنْ الجُوعِ والعَطَشِ، والتقوّي به على العبادة والزيادة في النشاط، والتسبب في الذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، واتباع السنة".

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، بأن يكون من بين طعامك على السحور الذي تأكله هو التمر، نعم التمر؛ فقد أَثنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى من يزيّن سحوره ويوم صيامه بالتسحر على التمر؛ ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "نِعْمَ سَحُورُ المؤْمِنِ التَّمْر"، فهذه حلّة جدية تضاف إلى حُلَل السحور نفسه وتزيده جمالا.

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، بأن يكون وقت سحورك متأخرا لما قبيل الفجر لا في منتصف الليل، وأن يكون مع غيرك من الصائمين لا منفردا قدر الممكن؛ فهذه من السنن النبوية التي تجمّل بها صيامك، لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه كما في صحيح مسلم، حيث يقول فيه: "تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: خَمْسِينَ آيَةً"، معناه بينهما قدر قراءة خمسين آية أو أن يقرأ خمسين، وفيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر، وفيه الاجتماع على السحور، وقال القرطبي: "فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر".

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، بأن تصلى لله تعالى صلاة تهجد ولو ركعتين في وقت السحر، وما أجمله من عمل عظيم تجمّل به يوم صيامك. لقوله تعالى: (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ**)[الإسراء،79]، ولقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم: (**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**)، وثبت في الأحاديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتهجد بعد نومه.

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، بأن تستقبله باستغفار صادق خاشع في وقت السحر، وما أدراك ما وقت السحر؟ لقوله تعالى: (**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**)[آل عمران،79].

قال ابن كثير: "دَلَّ عَلَى فَضِيلَةِ الِاسْتِغْفَارِ وَقْتَ الْأَسْحَارِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ يَعْقُوبَ، عليه السلام، لَمَّا قَالَ لِبَنِيهِ: (**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**)[يُوسُفَ:98]؛ أَنَّهُ أَخَّرَهُمْ إِلَى وَقْتِ

السَّحَرِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ عُمَرَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَقُولُ: "يَا نَافِعُ، هَلْ جَاءَ السَّحَر؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، أَقْبَلَ عَلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ حَتَّى يُصْبِحَ" (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: "حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيع، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ حُرَيْث بْنِ أَبِي مَطَرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي السَّحَرِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وهو يقول: ربّ أمرتني فأطعتك، وَهَذَا سَحَرٌ، فَاغْفِرْ لِي. فَنَظَرْتُ فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ. وَرَوَى ابْنُ مَرْدُويه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ إِذَا صَلَّيْنَا مِنَ اللَّيْلِ أنْ نَسْتَغْفِرَ فِي آخِرِ السَّحَرِ سَبْعِينَ مَرَّةً".

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله بأن تستقبله بدعاء صادق من قلبك ترفع فيه حاجاتك إلى خالقك، وتظهر فيه فقرك؛ فالله الله في سنة الدعاء وقت السحر، هذا الوقت الجليل المبارك؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتعاليكُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**).

فزيّن صيامك بدعوات وسؤالات واستغفارات ترفعها إلى الكريم سبحانه في وقت طيّب عظيم المنزلة أخذ فيه ربّك العهد على نفسه أن يجيبك ويعطيك ويغفر لك، فأيّ شيء أحسن من هذا أن تُزيّن به يوم صيامك وتستقبل به يوم طاعتك.

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه، بأن تحافظ على أداء سنة صلاة الفجر، فتصلي ركعتي السنة قبل الفريضة وتحرص عليهما، ففي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بأن تحافظ على الذكر اليومي في صباح يومك وفي مساء يومك. ومن السنن التي تزين بها يوم صيامك، أن تقول في الصباح سبحان الله وبحمده مائة مرة وأن تقول في المساء سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**)، وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بالكلام الطيب مع الناس، ومع أهلك، ومع جيرانك، ومع الموظفين والعاملين معك، فتلك صدقة لك تزيد بها من وزن صيامك وترتقي به، واحذر من الكلام الفاحش والسّيء؛ ففي البخاري عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بأن تقول للمسيء إليك والمستفز لك، والغليظ معك في كلامه وتعامله، اللهم إني صائم؛ ففي صحيح مسلم عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه، وزد في كماله بأن تحافظ على أداء ركعتي صلاة الضحى. وزيّن ليلَكَ بصلاة الوتر، ففي الحديث الصحيح في مسند أحمد عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: (**أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، وَلَسْتُ**

بِتَارِكِهِنَّ فِي سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ: أَنْ لَا أَنَامَ إِلَّا عَلَى وِتْرٍ، وَأَنْ أَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَأَنْ لَا أَدَعَ رَكْعَتَيِ الضُّحَى، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه، وزده بهاء، بقراءة كلام الله العظيم، ففي صحيح مسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)**.

نعم -أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بأن تتعجّل الفطور عند غروب الشّمس وسماع الأذان مباشرة، ولا تتأخر بعد ذلك، فتلك هي سنة نبيّكم الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ففي الصحيح عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلوا الفِطْرَ)**، وفي روايةٍ لابنِ مَاجَه: "لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطرَ، عَجِّلُوا الفِطرَ فَإِنَّ اليَهودَ يُؤَخِّرُونَ"، ولا تصلي المغرب قبل أن تفطر، هذه هي سنة حبيبك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في صحيح ابن حبان وصححه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: **(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ صَلَّى صَلاةَ المغْرِبِ حَتَّى يُفْطِرَ، وَلَو عَلى شَرْبَةٍ مِنْ مَاء)**.

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه وكمّله بأن تفطر على رطب فإن لم تجد فعلى تمر فإن لم تجد فعلى ماء أو أي شيء حلو؛ فهذه هي سنة نبيكم وحبيبكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كان يفطر قبل صلاة المغرب، وكان يفطر على رطب؛ فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد حسى حسوات من ماء؛ ففي الحديث الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ".

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بأن تقول عند إفطارك وتناولك للطعام ما كان يقوله حبيبك، كما في الحديث الحسن في سنن أبي داود وغيره، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: (**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ الله**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه بأدب النبوة وهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ما أفطرتَ عند غيرك من المسلمين من أقاربك او أصحابك أو غيرهم، فمن السنة أن تدعو لمن تفطر عنده، ومن يقدم لك طعام الفطور؛ فهذه هي السنة النبوية؛ فقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أفطر عند قوم دعا لهم؛ ففي الحديث الصحيح في مسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ قَالَ: (**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ**).

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه، وكمّله وارتقي به إلى عَنَان السّماء بأن تطبّق السّنة عند إفطارك وفرحتك بإتمام صيامك، وذلك بأن تدعو لنفسك ولمن تحب، بأن تستغل دعوتك المستجابة، ففيها الخير العظيم. ففي مسند أبي داود الطيالسي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (**لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**)؛ فَكَانَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَعَا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

نعم- أيها الصائم- زيّن يوم صيامك، وجمّله، وحسّنه واختمه، واجعل خاتمته مسك وعطر وبركة وقربة، بأن تصلي صلاة القيام في رمضان؛ فتحافظ على صلاة التراويح حتى تختمها مع الإمام في المسجد جماعة، فيكتب لك أجر قيام ليلة وإحياء سنة؛ ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)، وفي الحديث الصحيح في سنن الترمذي، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**).

نعم- أيها الصائم- كم نحن بحاجة إلى التطبيق العملي لهدي نبينا وحبيبنا وقدوتنا في صيامنا؛ فنلتزم بما جاء عنه من السنن النبوية الطيبة المباركة التي بها يطيب اليوم الذي نصومه ويزكو ويحلو وينمو ويَجمُل ويكمُل ويعظُم.

عبد الله: تعبد لربّك سبحانه بتطبيق السنن النبوية اليومية في جميع أيام صيامك، ليكون شهر صيامك كاملا زاكيا، وليكون رمضانك مزينا مجملا محسنا متقنا، فالله تعالى يحبّ العمل المتقن، ويحب الإحسان والمحسنين.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

زكاة الفطر من رمضان: فقهها وحكمتها وفضلها

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عباد الله: زكاة الفطر، صدقة واجبة معروفة المقدار، يقدمها المسلم لِفِطْرِه من رمضان. وأضيفت الزكاة إلى الفطر، من إضافة الشيء إلى سببه؛ لأن الفطر من رمضان هو سبب وجوبها، فأضيفت إليه؛ لوجوبها به. ويقال لها: "زكاة الفطر"، ويقال لها كذلك: "صدقة الفطر".

عباد الله: الحكم الشرعي لزكاة الفطر، هو الوجوب. والدليل على ذلك حديث ابن عمر كما في الصحيحين: "فَرَضَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ". قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن صدقة الفطر فرض".

عباد الله: زكاة الفطر لها خصوصية فيمن تجب عليه من المسلمين، فهي لا تجب على المكلف فقط، بل تجب زكاة الفطر على كل مسلم: حرٍّ أو عبدٍ، أو رجل أو امرأة، صغيرٍ أو كبيرٍ، والدليل على ذلك، حديث ابن عمر في الصحيحين، وفيه: "**فَرَضَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: حرٍّ أو عبدٍ، أو رجلٍ أو امرأةٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ**".

قال ابن قدامة: "وجملته أن زكاة الفطر تجب على كل مسلم، مع الصغر والكبر، والذكورية والأنوثية، في قول أهل العلم عامة، وتجب على اليتيم، ويخرج عنه وليه من ماله، وعلى الرقيق".

يا عباد الله: ومن خصوصية أحكام زكاة الفطر، أنها لا تجب فقط على المسلم في نفسه، بل تجب عليه في نفسه، وعن كل من يعول ممن تلزمه نفقتهم، قال الخرقي: "ويلزمه أن يخرج عن نفسه وعن عياله".

فظهر أن الفطرة تلزم الإنسان القادر عن نفسه، وعن مَنْ يعوله، أي يمونه، والدليل حديث ابن عمر الذي حسنه الألباني في الإرواء، وفيه: "**أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَلَى الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى مِمَّنْ تَمُونُونَ**".

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "زكاة الفطر تلزم الإنسان عن نفسه، وعن كلِّ من تجب عليه نفقته، ومنهم الزوجة؛ لوجوب نفقتها عليه".

عباد الله: هل لزكاة الفطر نصاب؟ وهل نصابها مثل نصاب الزكاة؟

أيها المسلمون: لزكاة الفطر نصاب، ولكنه ليس مثل نصاب الزكاة. فلزكاة الفطر خصوصية في النصاب. إذ يقدر نصابها بأن يملك المسلم قوتاً زائداً عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته.

فمن ملك ما مقداره صاعًا من الطعام زائدًا عن حاجته يوم العيد، فقد ملك النصاب. ولذلك لا تتعلق زكاة الفطر بالأغنياء، بل قد تجب على متوسطي الحال والفقراء والمساكين طالما أنهم يملكون النصاب.

والدليل، حديث ابن عمر في صحيح مسلم، قال: **"أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ"**.

عباد الله: إذا أراد المسلم أن يخرج زكاة الفطر، فكم يخرج؟ ما مقدارها؟ وماذا له أن يخرج من أنواعها؟

أيها المسلمون: مقدار زكاة الفطر هو صاع من قوت البلد الذي يأكله الناس. والدليل على ذلك حديث ابن عمر في صحيح مسلم، قال: **"فَرَضَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ"**.

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول: **"كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ"**.

والصاع المعتبر هو صاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أربعة أمداد، والمد ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يديه بهما، وبه سمي مدّاً، ووزنه فيما قدرة العلماء بالكيلو هو ما بين اثنتين كيلو ونصف إلى ثلاثة كيلو تقريبًا.

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "المقدار الواجب في زكاة الفطر عن كل فرد صاع واحد بصاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومقداره بالكيلو ثلاثة كيلو تقريباً".

عباد الله: متى تجب زكاة الفطر؟

تجب زكاة الفطر بدخول وقت الوجوب، وهو غروب الشمس من ليلة الفطر؛ والدليل على ذلك حديث ابن عمر في الصحيحين: **"فرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة**

الفطر من رمضان"، وذلك يكون بغروب الشمس، من آخر يوم من أيام شهر رمضان، فزكاة الفطر لا تجب إلا بغروب شمس آخر يوم من رمضان: فمن أسلم بعد الغروب، أو تزوج، أو وُلِد له وَلدٌ، أو مات قبل الغروب لم تلزم فطرتهم.

عباد الله: يجوز إخراج زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين؛ لحديث ابن عمر كما في صحيح البخاري، وفيه: "وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ"، وفي لفظ للإمام مالك: "أن ابن عمر كان يبعث بزكاة الفطر إلى الذي تجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة".

ويستحب إخراج زكاة الفطر يوم الفطر قبل صلاة العيد؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى صلاة العيد، كما في حديث ابن عمر في صحيح مسلم، وفيه: **"وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ"**.

واعلم أيها المسلم، أنه لا يجوز تأخير أداء زكاة الفطر بعد صلاة العيد على القول الصحيح، فمن أخَّرها بعد الصلاة بدون عذر، فعليه التوبة، وعليه أن يخرجها على الفور، والدليل على ذلك، حديث ابن عباس الصحيح كما في سنن أبي داود، وفيه: **(مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ)**.

عباد الله: ما مصارف زكاة الفطر؟ إلى من ندفع زكاة الفطر؟ هل مصارف زكاة الفطر هي نفسها صارف الزكاة؟

أيها المسلمون: لزكاة الفطر خصوصيتها في مصارفها، فهي لها مصرفان فقط لا ثمانية كما هو للزكاة. ومصارف زكاة الفطر وأهلها الذين تدفع لهم، هم الفقراء والمساكين.

وهذا هو الصواب والأرجح من أقوال أهل العلم. والدليل على هذا حديث ابن عباس الصحيح كما في سنن أبي داود، وفيه: "**فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ..، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ**".

قال الشوكاني: "وفيه دليل على أن الفطرة تصرف في المساكين دون غيرهم من مصارف الزكاة".

وقال ابن تيمية: "ولا يجوز دفع زكاة الفطر إلا لمن يستحق الكفارة".

وقال الإمام ابن القيم: "وكان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخصيص المساكين بهذه الصدقة، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية قبضة قبضة، ولا أمر بذلك، ولا فعله أحد من أصحابه، ولا من بعدهم"، ويجوز دفع زكاة الفطر عن النفر الواحد لشخص واحد، كما يجوز توزيعها على عدة أشخاص.

عباد الله: هل يخرج المسلم زكاة الفطر طعامًا من قوت بلده أم يخرجها نقدًا؟

أيها الأخوة: اتفق الفقهاء على مشروعية إخراج زكاة الفطر من الأنواع المنصوص عليها، كما في حديث ابن عمر: "**فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ**"، وفي حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ يَقُولُ: "**كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ**".

واتفق العلماء على أنه يجوز إخراج زكاة الفطر من الطعام الذي يعد قوتًا للناس، أيْ ما يقتاته الناس، ولا تقتصر على ما نص عليه من الشعير والتمر والزبيب، بل نخرج من الأرز والذرة والعدس وغيرهم مما يعتبر قوتاً.

قال الشافعي: "يجب في زكاة الفطر صاع من غالبًا قوت البلد في السنة"، وقال ابن تيمية: "أوجبها الله تعالى طعامًا كما أوجب الكفارة طعامًا".

أيها الأخوة: وأما إخراج زكاة الفطر قيمة نقدية بدلاً عن الطعام، فللعلماء قولان: القول الأول: عدم جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر، وهو مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة. وقال النووي كما في المجموع: "لا تجزئه القيمة في الفطرة عندنا وبه قال مالك وأحمد وابن المنذر".

والقول الثّاني: جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر مطلقًا، وهو مذهب الحنفية. فذهبوا إِلَى أَنَّهُ "يَجُوزُ دَفْعُ الْقِيمَةِ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ، بَل هُوَ أَوْلَى لِيَتَيَسَّرَ لِلْفَقِيرِ أَنْ يَشْتَرِيَ أَيَّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ لاَ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحُبُوبِ بَل هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَلاَبِسَ، أَوْ لَحْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ".

أيها الأخوة: يقول العلماء: "والسنة توزيعها بين الفقراء في بلد المزكي، ولا بأس بنقلها، ويجزئ- إن شاء الله- في أصح قولي العلماء، لكن إخراجها في محلك الذي تقيم فيه أفضل وأحوط، وإذا بعثتها لأهلك؛ ليخرجوها على الفقراء في بلدك فلا بأس".

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها المؤمنون: زكاة الفطر، هي شرعة مباركة من شرعة الإسلام العظيم، شرعها الله الحكيم سبحانه، وكل شرائع الله فيها الحِكْمة، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

وزكاة الفطر فيها حِكَمٌ ظاهرة جلية نص عليها الشارع، كما في الحديث الصحيح في سنن أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "**فَرَضَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ**

طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ".

أيها المؤمنون: زكاة الفطر فيها حِكْمتان عظيمتان.

الحِكْمة الأولى: ويعود خيرها على الصائم نفسه. فهي تطهير لصيام المؤمن، مما يكون قد اعتراه من خلل ونقص وتقصير، فتجبره زكاة الفطر، وتنقيه، وتزكيه، حتى يعود أكمل ما يكون، فلله الحمد والمنة.

والحِكْمة الثانية: يعود خيرها على غير الصائم، على الفقراء والمساكين من عباد الله المؤمنين، فتسدّ حاجتهم يوم العيد، وتدخل عليهم السرور، وتحفظ لهم مكانتهم في فرحة المجتمع، ومشاركة الناس عيدهم، وتغنيهم عن السؤال والشعور بالمذلة في يوم جعله الله فرحة للمسلمين.

فلله الحمد والفضل والمنة على ما يشرعه لعباده من شرائع ينتفع بها جميع عباده.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

ثلاثة تجليات إيمانية للصائمين وقت السحر

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون الصائمون، وأيتها الأخوات المؤمنات الصائمات:

يشير الواقع إلى أن أحوال الصائمين والصائمات وقت السحر مختلفة ومتفاوتة، فهذا يسهر طوال الليل إلى قبيل الفجر ثم ينام، فلا يشهد وقت السحور ولا يشهد صلاة الفجر، وهذا قد خسر خسرانًا كبيرًا، وذاك يشهد وقت السحور، ويكتفي بالتسحر دون السجود لربه العظيم سبحانه، فينام بلا صلاة فجر، وهذا خاسر أيضًا، وهناك من يشهد وقت السحور فيكتفي بالتسحر وصلاة الفجر وينام وهذا على خير، ولكن فاتته بركات إيمانية جليلة، وهناك صنف يعيش بركات وقت السحر على هدي نبيه وقدوته سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الصائمون والصائمات: إن المؤمن الصائم ينظر إلى شهر رمضان على أنه شهر التغيير النفسي والإيماني، شهر تجديد الإيمان، شهر استغلال الزمان الرمضاني المبارك، ومن أنفس أوقات الزمان الرمضاني: هو وقت السحور، فما حال الصائم والصائمة، المؤمن والمؤمنة، مع هذا الوقت المبارك، الذي ربما بعضنا لا يعيشه ولا يكون فيه مستيقظًا ولا يشهده إلا في رمضان، أي إلا في السنة مرة واحدة، فهل يستغله حق استغلاله؟ أم يمرّ هكذا مثل لحظات نهاره؟

عباد الله: كيف ينظر المؤمن إلى وقت السحور؟ ما هي النظرة النبوية لوقت السحور ووقته؟ وما حجم خسارة الذين يتهاونون بوقت السحور؟ حتى تعيش تجليات وقت السحور على هدي نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى تجعل من وقت السحور أحوالاً لك إيمانية خاشعة.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: إن حالك وقت السحور التي تجعل منك خاشعًا وناسكًا لربك سبحانه في هذا الوقت المبارك، تتحقق لك حينما تتبع الهدي النبوي في وقت السحور ولحظاته وزمانه، أي: أن تعيش زمان وقت السحور آخذًا بما هداك إليه نبيك وقدوتك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: اتبع الهدي النبوي الآتي تجعل من وقت سحورك وزمانه عبادة راقية ندية وقربة خالصة خاشعة، ولكن كيف يكون ذلك عمليًّا؟

أيها الصائم العابد وأيتها الصائمة العابدة: هناك ثلاث عبادات نفيسة، مؤثرة، غالية، شديدة الوقع على النفس، قوية التأثير في القلب، بها يرتفع مقامك، وبها تحصل مطالبك، وبها تعيش تجليات الصالحين والعابدين والناسكين، بها تكون صائمًا عابدًا، صائمة خاشعة، بها يختلف رمضانك عن غيرك، بها تشعر أنك قد عشت أحوالاً إيمانية ولحظات من العبودية قد تسلك بك طريق الصالحين في حياتك كلها، وتجعلك ممن يعيشون السنة كلها وقت السحر على وقع التعبد لله تعالى.

أيها الصائم العابد وأيتها الصائمة العابدة: التجلي الإيماني الأول يناديك قائلاً لك: قم تهجد لمولاك العظيم سبحانه وتعالى بركعتين أو بأربع أو بما تشاء، ركعات ملؤها الهدوء والطمأنينة والخشوع والخشية، نعم عش تجليات التهجد، نعم كن من أهل هذا النداء

الإلهي العظيم الذي يقول فيه مولاك سبحانه: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) [الإسراء: 79].

قال اهل التفسير: "أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سُئل: أيّ الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: (**صلاة الليل**)، ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجد: ما كان بعد نوم، قاله علقمة، والأسود وإبراهيم النخعي، وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أنه كان يتهجد بعد نومه**".

أيها الصائم العابد وأيتها الصائمة العابدة: أما التجلي الإيماني الثاني فيناديك قائلاً لك: لا يفوتك الاستغفار وكنْ من عباد الله الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَار، كن من أهل هذه الآية عالية الشأن رفيعة المعنى، التي يقول فيها ربك الجليل سبحانه: (**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**) [آل عمران: 17].

وهذه الآية الكريمة دلت على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار. وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام، لما قال لبنيه: (**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**) [يوسف: 98]، أنه أخرهم إلى وقت السحر.

وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السَّحَر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. (رواه ابن أبي حاتم).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن حُرَيْث بن أبي مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه قال: سمعت رجلاً في السَّحَر في ناحية المسجد وهو يقول: "ربّ أمرتني فأطعتك، وهذا سحر، فاغفر لي"، فنظرت فإذا ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى ابن مَرْدُويه عن أنس بن مالك قال: "كنا نُؤمَر إذا صلينا من الليل أنْ نستغفر في آخر السحر سبعين مرة".

نعم أيها العابد وأيتها العابدة: استغفر واستغفر واستغفر من قلبك بكل خشوع وصدق وطلب وإلحاح فكم نحن بحاجة إلى مغفرة الله لنا سبحانه!

أيها الصائم العابد وأيتها الصائمة العابدة: وأما التجلي الإيماني الثالث فيناديك قائلاً لك:

قم بتلك العبادة المحبوبة إلى الله تعالى، تلك العبادة التي يرتضيها ربك منك ويحبك من أجلها، إنها عبادة الدعاء، تلك العبادة التي جعل الله لها خصوصية وقت السحر، فمن يدعو ربه وقت السحر ليس كمن يدعوه خارج وقت السحر.

للدعاء وقت السحر تجلياته الربانية التي لا تكون في غيره من الأوقات، فيا خسارة من فاتته تلك التجليات، ويا خسارة من مر عليه وقت السحر ولم يدع فيه ربه سبحانه.

استمع معي إلى هدي نبيك وقدوتك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا يقول في حديث من أخشع وأنفس الأحاديث الإيمانية، حيث يقول فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن، من غير وجهٍ، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ينزلُ الله تَبَارَكَ وَتعالى في كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِر، فيقولُ: هَلْ مِنْ سَائل فأعْطِيَه؟ هَلْ مِنْ دَاع فَأسْتجيبَ له؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِر فأغْفِرَ لَهُ؟**).

فماذا تريد من خير من ربك الكريم أكثر من ذلك، ارفع يديك وقل يا ربّ يا مولاي أنا الداعي، وادع ربك الرحمن الرحيم لنفسك ولأهلك ولوالدين بالرحمة والعافية والنجاة، ارفع يديك وقل: يا ربّ يا مولاي أنا السائل، ثم اسأل الله حاجاتك وما

شئت من خير الدنيا والآخرة، لك ولأهلك، ولا تنس الدعاء للمجاهدين وللمستضعفين وللمظلومين من أبناء الإسلام والمسلمين فهذا من إيمانك وحسن عقيدتك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أما أنت أيتها الأم الجليلة والأخت العزيزة والزوجة الكريمة والبنت الغالية، فرغم انشغالك بتجهيز السحور، وإن شاء الله لك كل الأجر على ذلك إن أخلصت نيتك، إياك ثم إياك أن تغفلي عن تجليات وقت السحور، بل تهجدي ولو بالقليل واستغفري وادعي واسألي ربك.

وانتبه أنت أيها الوالد والزوج والأخ إلى أهلك فلا تدعهم ينشغلون فقط بتجهيز الطعام وتناوله فقط، بل ذكرهم بالتهجد والدعاء والاستغفار.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئًا.

حظّ والديك منك في صيامك رمضان- مقامات رمضانية

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمن الصائم، أنت تصوم لأنّك مُؤمن بالله، أيها العبد الصائم، أنت تصوم لأنّك عبدٌ لله تعالى، فصيامك إيمان، وصيامك عبودية، صيامك في رمضان مسلك لاستكمال إيمانك، صيامك في رمضان طريقك لتحقيق معنى العبودية لله تعالى.

واستكمال إيمانك بصيامك يعني أن تعمل بخصال الإيمان في أيام صيامك، ومن أعظم خصال الإيمان التي تستكمل بها إيمانك في رمضان أن لا تنسى والديك في رمضان.

وتحقيق العبودية في رمضان يعني أن تعمل بمطالب العبودية في أيام صيامك، ومن أشرف مقتضيات العبودية التي تحقق بها عبوديتك لله تعالى هو إحسانك إلى والديك في رمضان.

أيها الصائمون، أيتها الصائمات: سواء أكنتم أطفالا أو طفلات صائمين وصائمات، أم شبابا وبنات صائمين وصائمات، أم رجالا ونساء صائمين وصائمات، أنتم في النهاية أبناء، أبناء، لك والدٌ ولك والدةٌ.

أيها الصائم وأيتها الصائمة صغيرا أو كبيرا: هنا سؤال الإيمان، هنا سؤال العبودية الذي يطرق أبواب القلب، ويطرق أبواب من كان له قلب، ليسأله سؤالا كريما عزيزا نفيسا، هذا السؤال هو: ما حظّ والدِك منك في رمضان؟ ما حظّ والدتِك منك في رمضان؟ ما

حظّ الوالدين أحياء كانوا أو أمواتا من ابنهما في رمضان؟ بل السؤال: ما حظّ وصية الله في رمضان؟

فالوالدان هما وصية الله: **(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ)** [الأحقاف:15].

أيها الأبناء الصائمون والصائمات، صغارا وكبارا: إذا كان من يصوم رمضان يحجز له باب واحد من أبواب الجنة اسمه باب الريان، فاسمع لمن تحجز أبواب الجنة كلها: عن معاوية بن جاهمة رضي الله عنهما أن جاهمة جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: **(هل لك من أم؟)** قال: نعم، قال: **(فالزمها؛ فإن الجنة عند رجلها)**، وفي رواية: **(الزمها فإن الجنة تحت أقدامها)**، رواه النسائي وأحمد بسند صحيح. ألا يدفعك هذا- أيها الصائم- لتطرق أبواب الجنة كلها، وهي بين يدك؟ إنها والداك الكريمان.

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: يقول الله للمؤمن به وللعابد له: **(وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)** [البقرة:237]، الله أكبر! لا تنسَ من له فضل عليك، لا تنسَ فضله طول حياتك، وهل هناك أحد في الدنيا- بعد الله ورسوله- أعظم فضلا عليك من والديك؟ إنه فضل لا يدانيه فضل، فكيف يمكنك أن تنسى فضل من كان سببا في إيجادك، وتحمل المشاق في تربيتك، وقام بإفناء الوقت والمال والذات لأجلك؟.

من هنا قضى ربك قضاء أن لا يعبد سبحانه إلا مع عبادة الإحسان للوالدين، فقال سبحانه: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**[الإسراء:23]، ألا تعبدوا إلا إياه، فلا تصم رمضان عبادة لله سبحانه إلا ومعه عبادة الإحسان للوالدين. نعم، فما هو إحسانك لوالديك في رمضان؟ فما هو حظّ والديك في رمضان؟.

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: (**وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**)، أولى الناس بأن تدعوه في رمضان، وبأن تُفطره في رمضان، لا صدقة، ولا رد عزومة، ولا عادة؛ بل إجلالا وإكراما، هما والداك، وهما أولى الناس أن تبدأ بهما قبل غيرهما، فيا لك من صائم عاق حينما تدعو إلى الإفطار الأصدقاء والمسؤول وتهمل والديك! وحينما تدعو إلى الإفطار الأصهار وتنسى والديك! ويا لك من صائم كريم مؤمن عابد، حينما تقدم والديك على الناس جميعا، فيفطران عندك قبل غيرهما، وتفطر معهما؛ إكراما وإجلالا لهما.

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**)، وقضى ربك أن لا تعبده بصيام رمضان إلا ومعه إحسانك لوالديك، عش ساعات من رمضان في مجالسة والديك، اجعل سهرة رمضانية مع والديك.

في الحديث المتفق عليه: عن عبد الله بن عمرو قال: أقبل رجل إلى النبي فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغي الأجر من الله تعالى. فقال: (**فهل لك من والديك أحد حي؟**)، قال: نعم، بل كلاهما، قال: (**فتبتغي الأجر من الله تعالى؟**)، قال: نعم، قال: (**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**).

تفقد والديك، اسألهما عن مطالبهما في رمضان وحاجاتهما، جالسهما، اسهر معهما، لا تنسحب من البيت لصالح السهر مع الأصدقاء، لصالح السهر في المقاهي، لصالح السهر مع النت والشاشة.

بعض المثبورين من الأولاد يجالس الكلّ إلا والديه، يجالس الفيس لساعات ويرى أمه وحيدة وأباه كذلك فلا يكلف نفسه أن يقطع تواصله الافتراضي المجنون ليجلس مع أغلى إنسان عليه في الوجود!.

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: يقول تعالى في سورة لقمان: (**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**) [لقمان:14]، جاء رجل إلى ابن عمر فقال: "حملت أمي على رقبتي من خراسان حتى قضيت بها مناسك الحج، أتراني جزيتها؟"، قال: "لا! ولا طلقة من طلقاتها".

هذا الوالد الذي يتكفل بإطعامك طيلة الشهر، أيها الابن تذكر هذا، أيتها الفتاة تذكري هذا، وتلك الوالدة التي تتكفل طيلة الشهر بإعداد الإفطار، أيها الابن تذكر هذا، أيتها الفتاة تذكري هذا، فقل لهما على الأقل: جزاكم الله خيرا، شكرهما، اذكر معروفهما، امدح طعامهما، ساعدهما، قف معهما، ألم تسمع ماذا قال لك نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، يا أيها الابن الصائم، كما في مسند أحمد؟ (**من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه**).

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: لا تنس والدك ولا والدتك من مواطن استجابة الدعاء في رمضان، سواء أكانوا أحياء أم أمواتا.

وأعظم موطن يستجاب فيه الدعاء للصائم هو عندما تحين ساعة الإفطار، عند فطره وانتهاء يوم صومه، عند الإفطار؛ ففي الحديث الصحيح: (**لِكُلِّ عَبدٍ مِنْهُم دَعوَةٌ مُستَجَابَةٌ**)، وفي رواية: (**للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة**).

لقد دعا المولى جل وعلا وحث على الدعاء للوالدين لأنهما أصل الأبناء، فلذلك وجب الدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما، قال تعالى: **(وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرَاً)** [الإسراء:24].

أيها الابن الصائم: ادع لوالِدك وادع لوالدتِك، من كان منهم حيّا أو ميتا، ادع لهم من قلبك، ادع لهما بشفقة وأكثر لهما الدعاء، وأخلص لهما في الدعاء، لا تنس الوالدين الحي منهما والميت، فأنبياء الله تعالى دعوا لوالديهم؛ قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ)** [إبراهيم:41]، وقال تعالى إخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ)** [نوح:28]، ونفّذْ أمرَ ربّك لك حينما قال لك أيها الابن: **(وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)**.

وتأكد أيها الابن الصائم الصالح البارّ أنّ لدعوتك الأثر في غير رمضان، فكيف إذا كانت في رمضان؟ وكيف إذا كانت دعوة مستجابة من صائم؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)**.

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: خصص وقت السحر، وما أدراك ما وقت السحر؟ ذلك الوقت الذي قال فيه ربك: **(وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ)** [آل عمران:17]، خصصه للاستغفار لوالديك أحياء كانوا أم أمواتا، لا يمرّ عليك وقت سحر في رمضانك إلا واستغفرت لهما. لا تدع النت ولا والخلوة ولا النوم ولا الأكل يسرقك وينسيك الاستغفار لوالديك الحبيبين الغاليين.

هل تحب- أيها الابن الصائم- لوالدك الغالي الذي مات أن يرفع الله مقامه؟ هل تحب لأمك الحنونة أن يرفع الله مكانتها؟ عليك بالإصغاء جيدا لما يأتي: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الحسن: (**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**).

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها الأبناء الصائمون والصائمات صغار وكبارا: ما حظّ والدك وما حظّ والدتك من مالك وجودك وكرمك في رمضان؟ وأنت تؤدي عبادة الصوم وتقتدي بنبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان أكثر ما يكون جودا في رمضان.

أيها الابن البار: لا تنس والديك من صدقاتك المالية في رمضان. ماذا تفعل؟ أشركهما معك فيما تتصدق، وفيما تنفق، كلما تصدقت بشيء من المال، قل: اللهم إني أشرك والديّ معي- أحياء أو أمواتا- في تلك الصدقة فتقبلها مني، ثم بعد ذلك اترك واسع الفضل والإحسان يجزيك ما يجزيك من الخير، ثم بعد ذلك دع الكريم سبحانه يكرمك، فلن تكون أكرم منه سبحانه.

في الحديث الصحيح: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: (**نَعَمْ**).

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

ست منازل للصائمين المتسحرين

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون الصائمون وأيتها الأخوات المؤمنات الصائمات: يشترك الصائمون والصائمات في صيام نهار رمضان من الفجر إلى الغروب، ولكنهم يختلفون في كثير من أحوالهم في نهار رمضان وفي ليله، ومن ذلك اختلاف أحوالهم وقت السحر.

فالواقع يشير إلى أن أحوال الصائمين والصائمات وقت السحر مختلفة ومتفاوتة؛ فهذا يسهر طوال الليل إلى قبل الفجر ثم ينام، فلا يشهد وقت السحور ولا يشهد صلاة الفجر، وهذا خاسر بلا شك، وذاك يشهد وقت السحور ويكتفي بالتسحر دون الصلاة، وينام بلا صلاة فجر وهذا خاسر أيضًا.

وهناك من يشهد وقت السحور فيكتفي بالتسحر وصلاة الفجر وينام وهذا على خير، ولكن فاتته فضائل عظيمة، وهناك صنف يعيش وقت السحر على هدي نبيه وقدوته سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الأخوة: كيف ينظر المؤمن إلى عملية تناوله للسحور؟ وما هي النظرة النبوية لأكلة السحور؟ وما حجم خسارة الذين يتهاونون بتناول السحور أو ينظرون إليه على أنه مجرد أكله كغيرها من الأكلات؟

عباد الله: حتى تعيش عملية تناولك للسحور على هدي نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى تجعل منها عبادة فريدة. حتى تحول السحور إلى قربة وطاعة، عليك أن تعيش هدي نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عملية تعاطيك مع السحور، أي أن تعيش عملية الأكل وقت السحور آخذًا بما سنَّه وشرعه وهداك إليه نبيك وقدوتك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: اتبع الهدي النبوي الآتي لتجعل من سحورك؛ أي: من أكلك وشربك وقت السحور عبادة فريدة. ولكن كيف يكون ذلك عمليًّا؟

هناك ست منازل من منازل الهدي النبوي التي عليك أن تتدرج فيها وترتقي من خلالها بسحورك، وتطبقها عمليًّا، ليكون لسحورك طعم آخر وطبيعة إيمانية متميزة، تجد فيها نفسك قد ارتقت بالسنة كما شبعت بالأكلة.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: تقول المنزلة الأولى: لا تدع السحور، ولو بشربة ماء، هكذا طلب منك نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتسحر تنفيذًا لأمره، لطلبه منك ذلك، ليكن هذا هو دافعك. فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل والآمر كما جاء في مجموعة من الروايات الثابتة في كتب السنن: **(تَسَحَّرُوا..)**، **(فَلا تَدَعُوهُ-** أي السحور-**)**، **(فَلا تَدَعُوهَا"**، أي: أكلة السحور**)**، فاستشعر هذا حينما تقوم للسحور وحينما تبدأ السحور. فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرادك أن تأكل على السحور، "فيَنْبَغِي لِلمُسلِمِ أَنْ لا يُفَرِّطَ فِي هَذهِ السُنَّةِ العَظيمَةِ، وأَنْ يَحتَسِبَ الأجْرَ فيها مُستَحْضِراً النيَّةَ الصَّالحةَ، وأَنْ لا يَكُونَ سُحُورُهُ مِنْ بَابِ العَادَة."

أيها الصائم وأيتها الصائمة: تقول المنزلة الثانية: اغتنم وخذ "البركة" التي في السحور، لا تدعها تفوتك، عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه كما في الحديث الصحيح قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُور بَرَكَةً)**.

وعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلا تَدَعُوهُ وَلَو أَنْ يَجرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ)**.

والبَرَكَةُ هي ثُبُوتُ الخَيرِ الإلَهي في الشَّيءِ وكَثرَتُهُ واسْتِمْرَارُهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيء، واللهُ تَعَالَى يُبَارِكُ مَا شَاءَ مِنْ خَلقِهِ، وفي الحديث ثُبوتُ البَرَكَةِ في السُّحُورِ.

ومن ذَلكَ: مبُاركَةُ السُّحُور (أي: الأكل) والبركة في السحور تحصل بجهات متعددة منها: قوَّةً على الصِّيَام، وعلى طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ في النَّهارِ، ومُدَافعَةَ سُوءِ الخُلُقِ الَّذِي يَنتُجُ عَنْ الجُوعِ والعَطَشِ، والتقوى به على العبادة والزيادة في النشاط، والتسبب في الذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، واتباع السنة".

والسَّحُورَ يَقَعُ بِأَيِّ شَيء مَهْمَا قلَّ، وَلَوْ كَانَ جُرْعَةَ مَاءٍ كَما هُوَ ظَاهِرٌ في الحديث؛ "السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلا تَدَعُوهُ، وَلَو أَنْ يَجرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ".

ولذلك عليك أن تعلم أنك حينما تأكل وقت السحور شيئًا ما فإنه تحل فيه البركة من الله تعالى، وعليك أن تعتقد أن الأكل الذي تأكله وقت السحور بقصد التسحر في رمضان يختلف عن الكل الذي تأكله وقت السحر قبل رمضان وبعده رمضان، فذاك أكل تحلّ فيه البركة الإلهية وهذا أكل عادي.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: وأما المنزلة الثالثة فتقول: فبالسحور تتميز عن الكافرين، تُظهِر عقيدتك ومخالفتك لليهود والنصارى، عَنْ عَبْدِالله بنِ الحَارِثِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ عَلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فقَالَ: (**إِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلا تَدَعُوهَا**) (رَوَاهُ أَحْمَدُ والنَّسَائي).

وعَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَر**)(رواه مسلم).

فالسحور مِنْ خَصَائِصِ هَذهِ الأُمَّةِ في صَوْمِها، وَإنَّ في السُّحُورِ مُخَالَفَةً لأهْلِ الكِتابِ؛ لأَنَّهُم لا يَتَسَحَّرُون، ومُخَالَفَتُهُم أَصْلٌ عَظِيمٌ من أُصُولِ دِينِنا؛ ولِذا حُرِّمَ التَّشبُّه بهم في شَعَائِرِهِم ومَا اخْتُصُّوا به مِنْ عَادَاتِهِم وأَخْلاقِهِم، وأَنَّ في السُّحُورِ شكراً لِنعمَةِ الله تَعَالَى، وأَخْذاً بِرُخْصَتِهِ؛ إِذْ أَبَاحَ لنَا الأَكْلَ مِنَ الغُرُوبِ إِلى الفَجْرِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُحَرَّماً في أَوَّلِ الأَمرِ"، والمؤمن من أمثالكم حريص على أن يظهر تمايزه في شعائر تعبده لله تعالى عن تدين اليهود والنصارى الضالين المضلين.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: وأما المنزلة الرابعة فتقول: هل تعرف ما فضلك فيها؟ أتعرف ما منزلتك ايها المتسحر في هذا الوقت من الليل؟ لقد بلغ من فضل الله على المتسحرين، ومن فضلك ومنزلتك عند الله أيها المتسحر: صَلاةُ الله تَعَالَى ومَلائِكتِهِ عَلَيْهِم السَّلامُ، عليك.

نعم عليك أنت أيها المؤمن المتسحر، وهذه من أعظم بركات السحور، "والصَّلاةُ مِنَ الله تَعَالَى على المُتَسَحِّرين معناها: رَحمَتُهُم والرِّضى عَنْ فِعلِهِم، والثَّنَاءُ عَلَيْهِم به، وصَلاةُ الملائِكَةِ عَلَيْهِم مَعْنَاهَا: استِغفَارُهُم لَهم."

استمع معي إلى هذا الحديث: عَنْ أَبي سَوَيدٍ رضي الله عنه، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى المُتَسَحِّرِينَ**).

وعَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِين)** (رواه ابن حبان).

فلا يفوتك هذا الفضل أن تناله وتحظى به، وماذا تريد بركة أعظم من ذلك، فتفكر في الأمر وتدبر المشهد. وكلمات النبوة فيها الغنية عن كلامنا.

أيها الصائم وأيتها الصائمة: وأما المنزلة الخامسة فتقول: ما أَفْضَلِ السَّحُورِ؟ نعم لك أن تتسحر على ما شئت من الحلال، ولك أن تأكل ما طاب من الطعام وتشرب ما لذّ من الشراب، ولكن يبقى هناك هدي من نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بد لك أن تطبقه وتأخذ به حتى تجعل من سحورك كله عبادة وقربة، فما هو أفضل السحور؟ إنه السَّحُورَ على التَّمْرِ؛ فقد أَثنَى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيه، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْر)** (رَوَاهُ أَبو دَاودَ).

أيها الصائم وأيتها الصائمة: وأما المنزلة السادسة فتقول: إن تأخيرك للسحور عبادة، نعم، فإنه يستحب تأخير السحور الى قرب وقت الفجر؛ لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، حيث يقول فيه: **"تسحرنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قمنا إلى الصلاة. قلت: كم بينهما؟ قال: خمسون آية"**.

معناه بينهما قدر قراءة خمسين آية، أو أن يقرأ خمسين آية، وفيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر، وفيه الاجتماع على السحور، وفيه حسن الأدب في العبارة لقوله: "تسحرنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ولم يقل نحن ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما يشعر لفظ المعية بالتبعية، وقال القرطبي: "فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر".

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها الصائمون والصائمات: أن تعيش مراحل صيامك في نهارك وليلك على هدي نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معناه تحقيق العبودية لله تعالى، معناه الارتقاء بصومي في منازل الصالحين المقبولين، معناه تحقيق الاتباع وتجنب الابتداع، معناه أنني أعيش صيامًا مختلفًا عن صيام أولئك الذين غفلوا عن إحياء صيامهم وبثّ الروح فيها بهدي خير البشرية صلوات الله وسلامه عليه.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئًا.

خصوصية القرآن في رمضان: الأدلة والدلالات

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها الأخوة المؤمنون الصائمون: القرآن العظيم هو كلمة الله العظيم الحكيم التي شاء لها سبحانه أن تبارك هذه الأمة، وأن تكون عطيته لكل مؤمن به على امتداد الزمان، واختلاف المكان، وتنوع الأجيال؛ تكرمةً منه سبحانه لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن شاءت حكمة الله سبحانه أن يجعل لهذا القرآن العظيم خصوصية في زمن من الأزمان اختاره بحكمته من بين سائر الزمان، كما اختار أمكنة من بين سائر الأمكنة وبارك فيها، وكما اختار أناسا من بين سائر الناس فاصطفاهم برسالته، وهذا الزمان الذي اختاره الله وجعل للقرآن فيه خصوصية من بين سائر الأزمنة هو شهر رمضان.

نعم، يا أيها المؤمنون، هذه حقيقة شرعية لا بد أن تستقر في قلوبنا، وتَعِيها عقولنا، وترسخ في نفوسنا؛ لنجد آثارها من بَعدُ، وهي أنّ للقرآن العظيم خصوصية في شهر رمضان، وهذه الخصوصية هي اختيار رباني، ومشيئة إلهية، وقدَر الخالق سبحانه، وفعل أحكم الحاكمين.

خصوصيَّةُ القرآن في رمضان بدأت هناك، في غار حِراء، بدأت هناك في ساعة التقاءِ وحيِ السماء بأهل الأرض بعد طولِ انقطاع، بدأت في تلك اللحظة التاريخية التي لا مثيلَ لها في أحداث الدنيا كلِّها، تلك اللحظة التي أُعْلِنَتْ فيها نُبُوَّةُ محمَّد بن عبد الله،

تلك اللحظة التي تشرَّفَتْ فيها الأرضُ بكلمات الله تُتلى على ظهرها لأوَّلِ مرَّةٍ منذ عهدٍ طويلٍ.

نعم، بدأت خصوصية القرآن في رمضان حينما حدث كل ذلك ووقع في زمان رمضان، حينما تُليت الكلمة الأولى من القرآن العظيم على مسامع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة من ليالي شهر رمضان، تليت هناك في كهف مظلم في أعلى جبال مكة، فأنارت به الكهف والجبال والسهول ومشارق الأرض ومغاربها، فتجلى هذا النور الإلهي المبارك في ساعات مباركة اختارها الله لتكون من ساعات هذا الشهر المبارك شهر رمضان، ولم يختر ربنا الحكيم وقتاً من غير هذا الشهر ليلقي كلماته على أشرف خلقه، ليكون ذلك أعظم شاهد على خصوصية القرآن في هذا الشهر.

هذا المشهد المهيب الذي تلقت فيه الأرض أولى كلمات الله، وتباركت بها في ساعة مباركة من ساعات شهر رمضان، صوَّرَتْها لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد روى البخاري في صحيحة: "عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ- وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: **(مَا أَنَا بِقَارِئٍ)**، قَالَ: **(فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ) [العلق:1-3]**).

فهذا الحدث وقع في وقت من رمضان؛ ليشهد بذلك على خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان المبارك، خصوصية أرادها الله وشاءتها حكمته سبحانه وتعالى.

أيها المؤمنون بالله العظيم: هذه الخصوصية للقرآن العظيم في شهر رمضان كتبها ربنا سبحانه في القرآن العظيم، وجعلها وَحْياً يتلى إلى يوم القيامة؛ لتبقى خصوصية القرآن في رمضان ما أبقى الله الدهر والزمان.

نعم، هذه الخصوصية سطرها القرآن العظيم في ثلاث سور كريمة: سورة البقرة وسورة الدخان وسورة القدر.

فقال ربنا سبحانه في خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان في سورة البقرة: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)** [البقرة: ١٨٥]، يقول ابن كثير: "يمدح تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه".

وقال محمد رشيد رضا في تفسير المنار: "وَأَمَّا مَعْنَى إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ- مَعَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ بِالْيَقِينِ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مُنَجَّمًا مُتَفَرِّقًا فِي مُدَّةِ الْبِعْثَةِ كُلِّهَا- فَهُوَ أَنَّ ابْتِدَاءَ نُزُولِهِ كَانَ فِي رَمَضَان".

وقال ربنا سبحانه في خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان في سورة الدخان: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَة)** [الدخان:٣]، قال السعدي: "هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يُحتاج إلى بيانه أنه أنزله (فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)، أي: كثيرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام".

وقال ابن عاشور: "فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي ابْتُدِئَ فِيهَا نُزُولُ الْقُرْآنِ على مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ مِنْ جَبَلِ حِرَاءٍ فِي رَمَضَانَ".

وقال ربنا سبحانه في خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان في سورة القدر: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) [القدر:1]، فهنا سمى الليلة وحدد وجودها في شهر رمضان.

فهذه الآيات الثلاث، في السور الثلاث، تحدّد العلاقة الخاصة بين القرآن ورمضان، ويوضح بعضها بعضاً، كما يصدق بعضها بعضا، فقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن)، يشير إلى أن نزول القرآن كان في رمضان، ولكن لم يبين هنا هل أنزل في الليل منه أو النهار؟ فجاء قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ)، فبين أنه أنزل في الليل، وفي ليلة مباركة، ثم جاء قوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر)؛ ليحدد مسمى هذه الليلة الرمضانية، ومعالمها، فبين أن القرآن أنزل في ليلة القدر من رمضان.

أيها المؤمنون بالله العظيم: هذه الخصوصية للقرآن العظيم في شهر رمضان المبارك التي أرادها الله سبحانه وسجلها القرآن العظيم ظهرت واقعا عمليا في السنة النبوية، حيث أظهر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته أن شهر رمضان فعلا هو شهر القرآن، وأن له خصوصية ليست لغيره من الشهور، وذلك من خلال المدارسة القرآنية المباركة والشريفة التي كانت يُعْقد مجلسها بين جبريل عليه السلام وسيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليالي رمضان.

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قَالَ: "**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَد مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**"، ففي هذا الحديث، كما يقول ابن رجب، "دليلٌ على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفيه أيضا أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً مما يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛

فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر".

وقال ابن باز: "يمكن أن يفهم من ذلك أن قراءة القرآن كاملة من الإمام على الجماعة في رمضان نوع من هذه المدارسة؛ لأن في هذا إفادة لهم عن جميع القرآن، ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله يحب ممن يؤمهم أن يختم بهم القرآن، وهذا من جنس عمل السلف في محبة سماع القرآن كله".

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يترجم خصوصية هذا القرآن العظيم في شهر رمضان الفضيل بهذه المدارسة والمذاكرة للقرآن العظيم في ليالي رمضان، وعلى مدار الشهر كاملا، وفي كل سنة تمر عليه. فهل لنا به قدوة صلوات الله وسلامه عليه؟.

أيها المؤمنون بالله العظيم: هذه الخصوصية للقرآن العظيم في شهر رمضان الفضيل أرادها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكون منارة من منارات رمضان، تضيء لياليه في مشارق الأرض ومغاربها، وتنير قلوب الصائمين من عباد الله القانتين، وتملؤها خشوعا، وتزيدها إيمانا، وذلك حينما شرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الأمة قيام شهر رمضان، كما في الحديث الصحيح الذي يقول فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**.

وفي القيامِ قراءةٌ للقرآن العظيم، بل طول القيام وطول القراءة فيه مقصد من مقاصد قيام رمضان، وبذلك يؤكد هذا الحديث خصوصية القرآن في رمضان بصورة عَمَلية من خلال إحياء ليالي رمضان بصلاة التراويح والتهجد، التي يتلو فيها القائم آيات من القرآن الكريم.

أيها المؤمنون بالله العظيم: لقد فقه السلف علاقة القرآن برمضان، ووَعُوا عن الله تعالى مراده في رمضان، وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَه في رمضان، فطبقوا ذلك في واقعهم في رمضان، فجعلوا من أيام رمضان أيام تلاوة للقرآن، وجعلوا من ليالي رمضان ساعات قيام بالقرآن.

وتنقل لنا كتب السِير وكتب التراجم أحوال السلف العجيبة مع القرآن في رمضان، ومن تلك الشذرات الزكية التي تروى: أن الإمام أحمد بن حنبل كان يختم القرآن كل أسبوع، وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، ويختم في كل سبع دائماً، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: "رمضان هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام".

وكان مالك بن أنس إذا دخل رمضان يفرّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويُقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وكان لا يتشاغل إلا بالقرآن، ويعتزل التدريس والفتيا والجلوس للناس، ويقول: "هذا شهر القرآن".

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العباد، وترك بعض العبادات، وأقبل على قراءة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

ونماذج السلف كثيرة، تلك التي أثبتوا فيها للأمة أن للقرآن خصوصية في شهر رمضان، وأنه بالفعل هو شهر القرآن، وأنه لا بد أن يفوز بالحظ الأوفر من عبادات المسلم في شهر رمضان.

أيها المؤمن، أيها الصائم: بعد هذه الأدلة الظاهرة والدلالات البيّنة التي تثبت لك خصوصية القرآن في شهر رمضان، لا بد لك من تطبيق ذلك في واقعك، لا بد لك من

أن تجعل رمضانك رمضانَ تلاوة القرآن، لا بد أن تكون متميزا في رمضان بإقبالك على القرآن، لا بد أن تجعل نهارك مباركا بآيات القرآن، وأن يكون ليلك منيرا بكلمات القرآن.

فأقْبِلْ، يا أيها المؤمن الصائم، على القرآن، أقبل عليه قراءةً وتلاوةً وختماً، جاعلا من رمضان شهر الختمات العديدة للقرآن العظيم، ونَظِّم وقتك، ورتِّبْ لنفسك برنامجاً واضحاً، وخطةً عمليةً، لقراءة كتاب ربك سبحانه؛ لتجعل من شهر رمضان شاهداً لك على صلتك القوية بالقرآن العظيم، ومحطةً لك تُحصّل فيها الأجر، وتُكْثِر فيها من جمع الحسنات.

فأقبِلْ أيها الصائم على قراءة القرآن؛ استجابةً لله تعالى، ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغبة بما عنده سبحانه من الفضل العظيم، فهو القائل سبحانه: (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ*لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**) [فاطر:29-30].

وفي صحيح مسلم أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ- أي: السحَرة-**).

وفي الحديث الصحيح في سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (**مَنْ قَرأَ حرفاً من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**).

أقبِلْ أيها المؤمن الصائم على قراءة القرآن في رمضان بقلب خاشع، وبعين دامعة، وبنفس مليئة بالخوف والرجاء، وبعقل ثاقب متدبر متأمل بما يتلوه من آيات الكتاب العزيز، وبما يردده من كلمات ربه العظيم الحكيم.

تلكم هي حال القوم العارفين بالله وهم جلوس بين يدي القرآن العظيم، وذلكم هو مراد الله من عباده حينما يتعاملون مع كتابه سبحانه، فهو القائل عز وجل في خشوع المؤمن لكلامه: (**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ**) [الزمر:23].

وقال تعالى:(**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**) [الإسراء:109]، وهو القائل سبحانه في تدبّر عباده لكلامه وتأمّلهم بمعانيه: (**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**) [ص:29]، وهو القائل سبحانه في خضوع المؤمنين به واتباعهم لكلامه: (**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [الأنعام:155].

نعم، هذه هي حقيقة العبودية لله تعالى بتلاوة قرآنه العظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

أيها الأخوة المؤمنون الصائمون: إنّ هذا الربط المحكم بين القرآن ورمضان، وإنّ هذه الخصوصية الفريدة للقرآن العظيم في شهر رمضان الفضيل، فيها حِكَم ودلالات مهمة وجليلة، فهي تؤكد للأمة أنّ مكانتها التي ارتقت إليها بفضل القرآن لن تكون إلا بهذا

القرآن، وأن عليها أن تحذر من هجر القرآن، وأن تحذر من تعطيل العمل بالقرآن ومن عدم الحكم به بين الأنام، وتطبيقه في كل شأن.

فرمضان يُجدّد للمؤمنين عهدهم بالقرآن، ويذكرهم بنعمة الله عليهم في إنزال القرآن عليهم، وبإحسانه عليهم أنْ خصهم بالقرآن من بين سائر الأنام، وأن عليهم أن يجعلوا منه منهج حياتهم، وقائدهم إلى طريق الهداية والنجاة، وسبيلهم الأوْحَد للارتقاء بهم في الدنيا والآخرة.

نعم، يا عباد الله، هذه هي مقاصد رمضان والقرآن، فربنا سبحانه هو القائل: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى**)، وهو القائل سبحانه: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) [الإسراء:9]، وهو القائل سبحانه: (**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ**) [المائدة،49]، وهو القائل سبحانه: (**وبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**) [الإسراء:105].

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

ثلاثة مواقف عُظمى في غزوة بدر الكبرى

* الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

رمضان من السنة الثانية للهجرة، وبالتحديد في يوم (17 رمضان)، كانت غزوة بدر الكبرى، ففي السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان وتم أعظم انتصار للإسلام على الشرك في أول مواجهة عسكرية وكان هذا الانتصار منعطفاً في سير التاريخ إذ مكن للدعوة وفرض سيطرة القلة المؤمنة وأثبتت وجودها بعد أن قمعت أعتى قلاع الشرك وأقواها.

وواقع الأمة في حاضرها وماضيها يشير إلى أنه ما زالت هناك فئات صادقة عالمة وافية وخلصة في جهادها، تجاهد لأجل إعلاء كلمة الله، والذود عن حمى الإسلام وأمة الإسلام، تجاهد عدوا ظاهرا واضحا بيّنا مظهرا للعداء والظلم للأمة ودينها. وأنه في المقابل هناك فئات للأسف مسخت مفهوم الجهاد الحق، وأظهر الغلو والتكفير لبني جلدتها من الأمة المؤمنة، فظاهرت عليها وقاتلت بنيها.

أيها المؤمنون: ومن المواقف في غزوة بدر الرمضانية: "طلب المشركين العدالة الربانية".

من عجيب المواقف للتي حدثت في غزوة بدر أن المشركين طلبوا من الله أن يفصل بينهم وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالحق، وأن يهزم الله أكثرهم شرا من الفريقين، وقد ذكر الله لنا هذا الموقف في كتابه العزيز في سورة الأنفال، حيث يقول الله

تعالى: (**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**)(الأنفال،19).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ (19) الأنفال) يَقُولُ تَعَالَى لِلْكُفَّارِ (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) أَيْ: تَسْتَنْصِرُوا وَتَسْتَقْضُوا اللَّهَ وَتَسْتَحْكِمُوهُ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، مَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عبد الله بن ثعلبة بن صُغَيْر؛ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ -وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحًا مِنْهُ - فَنَزَلَتْ: (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: اللَّهُمَّ، أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ، فَكَانَ الْمُسْتَفْتِحَ. وَقَالَ السُّدِّي: كَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَدْر، أَخَذُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ، وَقَالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْ أَعْلَى الْجُنْدَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْفِئَتَيْنِ، وَخَيْرَ الْقَبِيلَتَيْنِ. فَقَالَ اللَّهُ: (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) يَقُولُ: قَدْ نَصَرْتُ مَا قُلْتُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا والله موقف عجب، غاية العجب. يدلنا على ثلاثة أمور:

الأول: أن المشركين كانوا يلجأون إلى الله في وقت الشدائد، وأن كفرهم بالله كان شركا مع الله. فهم كانوا يعرفون أن الله خالقهم، ولكن كانوا يعبدون معه آلهة أخرى.

والثاني: أن عدم إيمانهم بالله وحده، كان موقف مشينا منهم، فهم يعرفون الله بأنه الخالق، وبأنه سيقضي بالعدل بينهم وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك، ما اقتبروا خطوة صحيحة نحو التوحيد وعبادة الله وحده، رغم قربهم الظاهر منها. وهذا ضلال سببه الكبر والتمسك بالعادات وما عليه الآباء.

الثالث: أن نتيجة دعائهم لله وطلبهم منهم بأن يهزم فئة الشر، قد ظهرت ووقعت، وبان لهم من الطرف الخيّر من الطرف الشرير، فكان العقل يدعوهم للرجوع إلى الإيمان الصادق بالله والالتحاق بالفئة المنصورة، لا البقاء مكابرة مع فئة الكفر.

أيها المؤمنون: ومن المواقف في غزوة بدر الرمضانية: موقف"بين المغرورين والعقلانيين".

ظهر في غزوة بد موقفين للكبار سادات المشركين من قريش، عجيبين متضادين، أحدهما: موقف أظهر الغرور والبطر والكبر. وثانيهما: موقف أدبى التعقل والحكمة والخطاب الواقعي.

أما موقف الغرور، فقد كان لطاغية الجاهلية أبي جهل. فقد أرسل أبو سفيان رسالة إلى جيش المشركين الذي خرج لأجل القافلة، يقول لهم فيها: إنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فارجعوا، ولكن أبو جهل في كبرياء وغطرسة قائلا: "والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا".

وحينئذ قامت معارضة أخرى ضد أبي جهل- المصمم على المعركة- تدعو إلى العودة بالجيش إلى مكة دونما قتال، فقد مشى حكيم بن حزام في الناس، وأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش، وسيدها والمطاع فيها، فهل لك إلى خير تذكر به إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس.

فقام أبو الوليد(عتبة بن ربيعة) خطيبا فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال ينظر في وجه رجل يكره النظر

إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب.

وانطلق حكيم بن حزام إلى أبي جهل- وهو يهيء درعا له- قال يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه، كلا، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه- وهو أبو حذيفة بن عتبة كان قد أسلم قديما وهاجر- فتخوفكم عليه.

ولما بلغ قول أبي جهل: "انتفخ والله سحره"، قال عتبة: سيعلم من انتفخ سحره، أنا أم هو؟ وتعجل أبو جهل مخافة أن تقوى هذه المعارضة، فبعث على إثر هذه المحاورة إلى عامر بن الحضرمي- أخي عمرو بن الحضرمي المقتول في سرية عبد الله بن جحش- فقال: هذا حليفك- أي عتبة- يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك، ومقتل أخيك، فقام عامر، فكشف عن أسته، وصرخ: واعمراه، واعمراه فحمي القوم، وحقب أمرهم، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة. وهكذا تغلب الطيش على الحكمة.

هذا الغرور والتيه والعجْب، والكبرياء، لم يكن لصالحه ولا لصالح قومه، فقد قادته هذه الأخلاق الشرهه والعمياء إلى حتفه، ونهايته، وقتله، وتدنيس أنفه بالتراب، وخيبته، وهكذا دائما يصنع الغرور والكبر والخيلاء بصاحبه، مهما عاش لحظات من الوهم الخادع والتعالي الحقير على الآخرين. وكان ينبغي له أن يستمع لصوت رجل قريش وأحد ساداتها عندما نصحه بالعودة، ولكنه عمى البصيرة، ومكر الخالق بالماكرين، فإصراره وعنجهيته أنهت زعامته ووجوده، وخذلته.

وهذه حال، كل من يصغي للمتكبرين، وحمآل كل من يقودهم المتغطرسون، ويسوسونهم، فإنه يجرونهم في نهاية المطاف لما فيه هلاكهم وضياعهم، من أجل أن يشبع هؤلاء المتغطرسون نزواتهم وغرورهم وزهوهم بأنفسهم وذواتهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد

أيها المؤمنون: ومن المواقف في غزوة بدر الرمضانية: "نهاية رجال أسياد لم يتسفيدوا شئيا".

حينما تكون الخاتمة مدمرة، وحينما لا يجني صاحبها من مسيرته شيئا إلا الخزي والعار والنار، أفلا يكون ذلك مدعاة لنا لنفكر ونعتبر ونقرر، فلا نكرر مسالك هؤلاء.

في كتب السيرة، مما جاء في مواقف غزوة بدر الرهيبة المؤثرة: أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ(فقذفوا في الْقَلِيبِ). قَالَ: وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، قَالَ: فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ أَقَامَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَشُدَّتْ بِرَحْلِهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: فَمَا نَرَاهُ يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، قَالَ: حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الطَّوِيِّ، قَالَ: فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ وَيَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ، وَيَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، فَعَدَّدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ: فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ:

أَسَرَّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ؟

هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟

قَالَ عُمَرُ: يَا نَبِيَّ الله، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا،(قَالُوا: كَيْفَ تُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا. أَوَ تُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا) قَالَ: (**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ)(إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ الْآنَ مَا أَقُولُ لَهُمْ)**، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي. قَالَ قَتَادَةُ: "أَحْيَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَتَّى سَمِعُوا قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً"

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ: (**بِئْسَ العَشِيرَةُ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النَّاسُ وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي الناس. وخذلتموني ونصرني الناس**).

إن هذا الموقف المهيب الرهيب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين من كانوا يعادونه ويطاردونه ويقاتلونه قبل ساعات وايام وسنوات، فيه عبر وعظات جليلية، منها:

أن الآخرة حق، وأن القبر وعذابه ووعده ووعيده يقين وعقيدة وصدق لا محالة فيه.

وأن الندم ينفع الإنسان في الدنيا، وهو مطلوب ونافع له في الدنيا، ولكنه لا ينفع مطلقا في الآخرة.

وأن اولئك الذين يمضون أعمارهم وأقلامهم وأفكارهم وكتاباتهم وإنجازاتهم في بسل الصد عن سبيل الله، ماذا يستفيدون في تلك اللحظة عندما يتم دفنهم في حفرة تحت الأرض، لا يملكون من أمرهم شيئا. وكم هو الندم والخزي حينما يعلمون هناك في دار

الحق واليقين، أنهم كانوا على الضلال، وكان الدعاة على الحق، وأن عداءهم لهم، وللدين، قد أصبح نارا تلظى عليهم.

وقوة يقين الصحابة، وتصديقهم بالغيبيات، حينما كلمّ النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الطغاة الذين ماتوا من أيام، وأصبحوا جيفا هامدة، وتصديقهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم، حينما قال لهم، بأنه أشد سمعا لما أقول منكم.

حقا، ماذا يستفيد من لا يطيع الله عز وجل.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

أعظم (5) انتصارات للمسلمين في شهر رمضان

*** الخطبة الأولى:**

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عباد الله: أهمَّ الغزوات التي سجَّلها التاريخ الإسلاميُّ خلال شهر رمضان المبارك:

أولا: غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة

في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، وفي السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، دارت رَحَى معركة فاصلة بين الإسلام والكفر، بين الإيمان والطغيان، بين حزب الله وحزب الشيطان، تلكم هي غزوة بدر الكبرى.

ثانيا: "فتح مكة" في السنة الثامنة من الهجرة

إن فتح مكة في الثالث والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة شكَّل الآية العظمى على مدى الأخلاقية النبوية الإنسانية التي التزم بها الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم مقدمًا أرفع نموذج للتسامح والتواضع والسموِّ الذي عرفته البشرية عبر تاريخها.

ثالثا: معركة "حطين"

واسترداد بيت المقدس بين المسلمين بقيادة صلاح الدين، وبين الصليبين.

قام المجاهد "عماد الدين زنكي"- رحمه الله- بعد قتال عنيف مع الحاميات الصليبية باستعادة بعض المدن والإمارات؛ من أبرزها: إمارة "الرها" عام 1144م، وواصل

خَلَفُه "نور الدين محمود" رحمه الله التصدي للفرنجة؛ فمَدَّ نفوذَه إلى دمشق عام 1154م، واستكمل القائد المجاهد "صلاح الدين الأيوبي" رحمه الله تلك الانتصارات فكانت معركة حطين الشهيرة التي استُرِدَّ بعدها بيت المقدس عام (583هـ- 1187م).

فعلاً، كانت معركة حطين تمهيدًا لدخول صلاح الدين رحمه الله إلى بيت المقدس، وتم بفضل الله نصر الله المبين حيث التقتْ جيوش المسلمين بجيوش الصليبيين في "حطين"، وكان ذلك في عام 583هـ- 1187م.

لقد جمع الصليبيون عشرين ألف مقاتل، جمعوهم من كل دويلات الصليبيين واشتبك الجيشان، وانجلت المعركة عن نصر ساحق لصلاح الدين مع تدمير تام لجيش أعدائه، لم يكن أمام جيش صلاح الدين بعد معركة حطين إلاَّ أن يتقدم نحو القدس، وقبل أن يتقدَّم نحوها استسلم له حصن "طبرية"، وفتح "عكَّا"، واستولى على "الناصرية"، و"قيسارية"، و"حيفا"، و"صيدا"، و"بيروت"، وبعدها اتَّجه صلاح الدين إلى القدس.

رابعا: معركة "عين جالوت"

حيث انتصر المسلمين على التتار، بين المسلمين بقيادة "سيف الدين قطز" والمُغُول.

في عهد الدولة المملوكية استطاع "سيف الدين قطز" و"الظاهر بيبرس" صدَّ الغزو المغُولي الذي اجتاح أجزاءً واسعةً من العالم الإسلامي في معركة "عين جالوت" قرب الناصرة في عام 1259م، فكانت واحدةً من أهم وأشهر المعارك الإسلامية.

في (شهر رمضان 658هـ = أغسطس 1260م) خرج "قطز" من مصر على رأس الجيوش المصرية، ومَن انضمَّ إليه من الجنود الشاميين وغيرهم، وترك نائبًا عنه في مصر هو الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب، وأمر الأمير "بيبرس البندقداري" أن يتقدَّم بطليعة من الجنود؛ ليكشف أخبار المغول، فسار حتى لقِيَ طلائع لهم في "غزة"، فاشتبك معهم، وألحق بهم هزيمةً كان لها أثرٌ في نفوس جنوده، وأزالتِ الهيبةَ من

نفوسِهم، ثم تقدَّم السلطان "قطز" بجيوشه إلى "غزَّة"، فأقام بها يومًا واحدًا، ثم رحل عن طريق الساحل إلى "عكَّا"، وكانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين، فعرضوا عليه مساعدتهم، لكنه رفض، واكتفى منهم بالوقوف على الحياد، وإلاَّ قاتلهم قبل أن يقابل المغول، ثم وافى "قطز" الأمير "بيبرس" عند "عين جالوت" بين "بيسان"، و"نابلس".

وكان الجيش المغولي يقوده "كيتوبوقا" (كتبغا) بعد أن غادر "هولاكو" الشام إلى بلاده للاشتراك في اختيار خاقان جديد للمُغُول، وجمع القائد الجديد قواته التي كانت قد تفرَّقت ببلاد الشام في جيش موحد، وعسكر بهم في عين جالوت.

وما كاد يشرق صباح يوم الجمعة (25 من رمضان 658هـ = 3 من سبتمبر 1260م) حتى اشتبك الفريقان، وانقضَّتْ قوات المغول كالموج الهائل على طلائع الجيوش المصرية؛ حتى تحقق نصرٌ خاطفٌ، وتمكَّنت بالفعل من تشتيت ميسرة الجيش، غيرَ أن السلطان "قطز" ثبت كالجبال، وصرخ بأعلى صوته: "واإسلاماه!"، فعمَّت صرخته أرجاءَ المكان، وتوافدتْ حوله قواتُه، وانقضوا على الجيش المغولي الذي فوجئ بهذا الثبات والصبر في القتال، وهو الذي اعتاد على النصر الخاطف، فانهارت عزائمه، وارتد مذعورًا لا يكاد يصدق ما يجري في ميدان القتال، وفرُّوا هاربين إلى التلال المجاورة بعد أن رأوا قائدهم "كيتوبوقا" يسقط صريعًا في أرض المعركة.

ولم يكتفِ المسلمون بهذا النصر، بل تتبَّعوا الفلول الهاربة من جيش المغول التي تجمعت في "بيسان" القريبة من "عين جالوت"، واشتبكوا معها في لقاء حاسم، واشتدت وطأة القتال، وتأرجح النصر، وعاد السلطان "قطز" يصيح صيحة عظيمة سمعها معظم جيشه وهو يقول: "واإسلاماه!" ثلاث مرات ويتضرع إلى الله قائلاً: "يا الله!! انصر عبدك قطز"، وما هي إلا ساعة حتى مالت كفة النصر إلى المسلمين، وانتهى الأمر بهزيمة مدوية للمغول لأول مرة منذ "جنكيز خان"، ثم نزل السلطان عن جواده، ومرَّغ وجهه على أرض المعركة وقبَّلها، وصلَّى ركعتين شكرًا لله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد

خامسا: فتح القسطنطينية على يد "محمد الفاتح"

إن القسطنطينية التي بشَّر الرسول الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم بفتحها: (لتفتحُنَّ القسطنطينية، فلنِعْمَ الأميرُ أميرُها، ولنِعْمَ الجيشُ ذلك الجيش)؛ روه الإمام أحمد في مسنده، من ذا الذي فتحها غير السلطان "محمد الفاتح" رحمه الله الذي وضع خُطَّة غاية في دهاء التدبير، وروعة في الإعداد العسكري ودقة التنفيذ؟! يوم حمل السفن برًّا على جذوع الشجر، ثم دحرجها وأنزلها إلى البحر خلف البيزنطيين من حيث لا يتوقعون، مما أدى إلى دحر أسطولهم وهزيمتهم، وفتح القسطنطينية التي أصبحت فيما بعد عاصمة الخلافة، وحملت اسم "إسلامبول" أو "إستانبول"؛ أي: مدينة السلام.

كيف تم فتح القسطنطينية؟

أراد محمد الفاتح منذ تولِّيه الحكم حسم مشكلة القسطنطينية، فقد كانت وكرًا للمؤامرات على الدولة العثمانية، واستعد السلطان سياسيًّا وعسكريًّا لذلك، ثم حشد "الفاتح" أكثر من ربع مليون جندي أحدقوا بالقسطنطينية من البَرِّ، واستمر حصار المدينة ثلاثة وخمسين يومًا، تم خلالها بناء منشآت عسكرية ضخمة، واستقدام خيرة الخبراء العسكريين، ومِن بينهم الصانع المجري الشهير "أوربان"، والذي استطاع صنع مدافع عظيمة تقذف كرات هائلة من الحجارة والنار على أسوار القسطنطينية، وقد بذل البيزنطيون قصارى جهدهم في الدفاع عن المدينة، واستُشهِد عددٌ كبير من العثمانيين في

عمليات التمهيد للفتح، وكان من بين العقبات الرئيسة أمام الجيش العثماني تلك السلسلة الضخمة التي وضعها البيزنطيون؛ ليتحكموا بها في مدخل القرن الذهبي، والتي لا يمكن بحال فتح المدينة إلا بتخطّيها، وقد حاول العثمانيون تخطي هذه السلسلة دون جدوى، ووفق الله "الفاتحَ" لفكرة رائعة، تدل على عبقرية حربية فذَّة؛ حيث استطاع نقل سبعين سفينة بعد أن مُهِّدت الأرض وسوُيت في ساعات قليلة، وتم دهن الألواح الخشبية ووضعها على الطريق؛ تمهيدًا لجرِّ السفن عليها مسافة ثلاثة أميال، وقد تمَّ كل هذا في ليلة واحدة، وبعيدًا عن أنظار العدو، وكانت فكرةً مبتكرةً وناجحةً بكل المقاييس، ثم بعد الهجوم الكاسح على المدينة واستسلامها بعد مقتل الإمبراطور، كان التسامح التام مع أهل المدينة؛ حيث كانت لهم الحرية التامة في ممارسة شعائرهم الدينية، واختيار رؤسائهم الدينيين، ومما يدل على ذلك أن السلطان محمد الفاتح استقبل "بطريرك المدينة"، وتناول معه الطعام، وتحدَّثا في أمور شتى: دينية وسياسية واجتماعية، مما أعطى هذا البطريرك انطباعًا مختلفًا عمَّا كان عليه قبل لقائه السلطان الفاتح.

لقد كانت القسطنطينية قبل فتحها عقبةً كبيرةً في وجه انتشار الإسلام في أوروبا؛ ولذلك فإن سقوطها يعني فتح أوروبا لدخول الإسلام بقوة وسلام أكثر من ذي قبل، ويعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمية، وخصوصًا تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام، حتى عدَّهُ المؤرخون الأوروبيون ومَن تابعهم نهايةَ العصور الوسطى وبدايةَ العصور الحديثة.

المرجع: (الغزوات والفتوحات والانتصارات في شهر رمضان. د. مولاي المصطفى البرجاوي. على شبكة الألوكة. مختصرا مهذبا).

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

الصائم واستغلال دعوته المستجابة

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها الأخوة الصائمون: الله تعالى، واسع الفضل والمنّة، عطاياه جزيلة ووافرة للصائم في شهر رمضان؛ ومن هذه العطايا النفيسة من الكريم سبحانه وتعالى للعبد الصائم في رمضان: الدعوة المستجابة، فقد تفضل الله سبحانه وتعالى عليك أيها الصائم بأن جعل لك دعوة مستجابة جزاءً على صومك، وتكريماً لك.

فبعد طول صيامك وجوعك وعطشك وصبرك، وإذا بالله الجواد يجود عليك بدعوة مستجابة، وهذا ما أخبرنا به رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا ما بشَّرك به أيها الصائم، فقد بشرك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّ دعوتك- أيها الصائم- مستجابة، كما في الحديث الذي رواه أحمد بسند صحيح أن رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ثلاث دعَوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**).

وروي كذلك بسند صحيح أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إِنَّ للهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ (صائم) دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**)، وزادك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبشيرا وتأكيدا حينما وصف لك هذه الدعوة بأنها لا ترد، نعم! لا ترد، وبأنها ملازمة لك طوال الشهر، كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة وحسنه الألباني، عن عبد

الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن للصائم عند فطره لدعوةً ما تُرد**).

وعند الترمذي وصححه الألباني عن أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**)، وفي رواية أخرى الترمذي وصححه الألباني، عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفة الجنة ونعيمها قال في آخره: (**ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم**).

يا أيها الصائمون: ونحن في شهر الصوم، لا بد أن ندرك المقصود الأكبر لنا في هذا الشهر، وهو أنْ نحقق فيه عبودية الله تعالى على أحسن وجه، وعلى أنفع وجه، ومرادي من الكلام عن الدعوة المستجابة للصائم في رمضان هو التعبُّدُ الصحيح لله تعالى بهذه الدعوة، هو استغلال هذه الدعوة لأقصى حدّ ممكن، هو العيش العملي بهد الدعوة، هو التوظيف الصادق لهذه الدعوة.

لذلك- أيها العبد الصائم- حتى تتعبد الله بدعوتك المستجابة هذه، تذكّر قبل أن تدعوها

أن تدعوَ دعوتَكَ المستجابةَ هذه بإخلاص وصدق، أن تدعوها بتضرع وابتهال، أن تخرج كلماتك من قلبك كأنها نبضات قلبك، تُظهر فيها فقرك إلى ربك الغني، وحاجتك إلى ربك الكريم، فهو القائل سبحانه: (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**) [الأعراف:55]، قال الطبري: أي: ادعوا ربَّكم وحده، فأخْلِصُوا له الدعاء، (تَضَرُّعَاً) أي: تذلُّلا واستكانة، (وَخُفْيَةً) أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم.

نعم، نريد منك أيها الصائم أن تدعو ربك عند إفطارك وكأنك تفطر على هذه الدعوة، وكأنها هي طعامك وشرابك طوال الليل، فتدعو ربك بتضرع وإلحاح واستكانة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته سبحانه، وبذلك تكون شعَرْتَ بحلاوة الدعاء، وبذلك تكون تعبّدت الله تعالى بهذه الدعوة المستجابة، وأحسنت تقديمها.

وتذكّر- أيها العبد الصائم- قبل أن تدعوَ بهذه الدعوة المستجابة، تذكّر بأن الدعاءَ أكرمُ شيءٍ على الله، فكما في الحديث الحسَن، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ"، وتذكّر وأنت تدعو بأنك تدعو الكريم سبحانه، ففي الحديث الصحيح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إنَّ ربَّكُم تبارك وتعالى حييٌّ كَرِيمٌ يستَحي مِنْ عبدِهِ إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفراً**).

ولذلك وَسِّع أيها الصائم دعوتك المستجابة، وسّع ما تطلبه من ربك، فاطلب منه سبحانه منافع الدنيا ومنافع الدين، واطلب منه سبحانه الخير في الدنيا والخير في الآخرة، واطلب منه سبحانه أن يدفع عنك الشر في الدنيا وفي الآخرة، فكما في الترمذي وحسَّنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ليسأل أحدكم ربَّه حاجتهُ كلَّها، حتى يسأل شِسْعَ نعْلِهِ إذا انقطع**).

ووسّع أيها الصائم دائرة دعوتك المستجابة، فأدخل فيها نفسك ثم أدخل فيها أهلك ثم أدخل فيها المؤمنين والمؤمنات، وبذلك تقتدي بأنبياء الله تعالى، كما قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**)[نوح:28].

فأيها العبد الصائم صاحب هذه الدعوة المستجابة: ابدأ أولا بنفسك، فاطلب لنفسك من ربك الكريم العتق من النار، فكما في الحديث الحسن عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّ لله عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ، وذَلكَ كُلَّ لَيلَة**).

واطلب لنفسك المغفرة الكاملة والشاملة، فكما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي**).

واطلب لنفسك صلاح دنياك ودينك وآخرتك، فكما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**).

واطلب لنفسك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، لحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال على المنبر: (**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**).

واطلب لنفسك ولاية الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، كما في الحديث الصحيح، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمة: (**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**).

أيها العبد الصائم، يا صاحب هذه الدعوة المستجابة: انتقل أيها العبد الصائم، يا من تفقه استغلال دعوتك المستجابة حق الاستغلال، انتقل ثانيا بعد الدعاء لنفسك إلى

دائرة الدعاء لأهلك، نعم أهلك، وهل هناك أحد أحق من أهلك بخيرك هذا؟ فرسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول، كما في الحديث الصحيح: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**).

وانظر في دعوات أنبياء الله، كما في دعوة نوح عليه السلام، فهو يخصّ أهله، وَالِدَيْه، بعد نفسه (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**) [نوح:28]، وكذلك فعل إبراهيم عليه السلام: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**) [إبراهيم:41]، وهكذا كان يفعل سلفنا الصالح، وهكذا كانوا يستغلون دعوتهم المستجابة في رمضان، فلا ينسَون أهليهم مِن خيرها.

فيا أيها الأب الصائم، ادع لزوجتك ولأولادك، ادع لهم من قلبك، فهذا عبد اللهّ بن عمرو رضي الله عنهما كان إذا أفطر دعا أهله وولده ودَعَا، فادع يا أيها الأب لأولادك، لا تدعُ عليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ثلاث دعوات يُستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**).

ويا أيها الابن الصائم: ادع لوالدك وادع لوالدتك، مَن كان منهم حيّا أو ميتا، ادع لهم من قلبك، لا تنس مَن كان لهم الفضل في وجودك وفي دعائك وفي صومك وفي حياتك كلها، ادع لهما بشفَقَة، وأكثِرْ لهما الدعاء، وأخلص لهما في الدعاء، لا تنس الوالدين، الحي منهم والميت، فأنبياء الله تعالى دعوا لوالديهم، قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**) [إبراهيم:41]، وقال تعالى إخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**) [نوح:28].

ونفّذ أمرَ ربّك لك حينما قال لك أيها الابن: (**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) [الإسراء:24]، وتأكد أيها الابن الصائم الصالح البارّ أنّ لدعوتك الأثر في غير

رمضان، فكيف إذا كانت في رمضان؟ وكيف إذا كانت دعوة مستجابة من صائم؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**).

وعن مالك، عن يحيى بن سعيد أن سعيد بن المسيب كان يقول: إن الرجل لَيُرْفَع بدعاء ولده من بعده وقال بيده نحو السماء فرفعها، وعن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الحديث الحسَن قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن اللهَ لَيَرْفَعُ الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا ربِّ! أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**).

وادْع- أيها الأخ الصائم- لإخوانك، ادْع لأخواتك، ادْع الله لهم ولذراريهم، ادْع لهم من قلبك.

يا أيها الصائمون: حرام والله ما تقع به بعض الأسر، تنسى أنّ هناك دعوة مستجابة، وبعضهم ينشغل هو وباقي أفراد أسرته بما يعرض على شاشات الفضائيات أو غير ذلك فيمرّ الوقت وتقع الغفلة عن الدعوة المستجابة!.

يا أيها الصائمون: خسارة والله ما يحصل من بعضنا، إما يدعو لنفسه دعاء عابراً وسريعاً لا يقرّ على لسان ولا ينْبت في قلب، بل وبعضنا تمرّ عليه الأيام من رمضان والليالي وهو مضيع لهذه الدعوة المستجابة لا يدعوها ولا يستغلها، وبعضنا قد يمر عليه رمضان وما فقد والديه أو زوجته أو أولاده أو إخوانه وأخواته بدعوات صادقه خصّهم فيها مخصّة!.

أيها العبد الصائم، يا صاحب هذه الدعوة المستجابة: ثم انتقل أيها العبد الصائم يا من تفقه استغلال دعوتك المستجابة حقّ الاستغلال انتقل ثالثا بعد الدعاء لنفسك وبعد

الدعاء لأهلك، انتقل إلى دائرة الدعاء للمؤمنين، كل المؤمنين، وبخاصة المستضعفين منهم والمنكوبين والمظلومين.

وليكن هذا منك اقتداءً بأنبياء الله تعالى، فقد قال تعالى إخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام- في دعوته لكل المؤمنين: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**)[نوح:28]، وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**) [إبراهيم:41]، وقال تعالى في حق نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**) [محمد:19]، وقال تعالى في المؤمن ودعوته لأخيه المؤمن: (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**)[الحشر:10].

فيا أيها الصائم: استغلّ دعوتك المستجابة خير استغلال، ووسّع دائرة من تدعو لهم لتشمل المؤمنين والمؤمنات، وتعبّد الله بالدعاء لكل المؤمنين في الأرض، ادع الله لهذه الأمة المسلمة، ادع الله بأن يغفر لها ويرحمها، وبأن يفرج عنها، ادع الله بأن يعيدها إلى شريعة، ربها وبأن ييسر لها قادة وعلماء وولاة صادقين ينهضون بها، ويقودونها بشرع الله إلى بَرّ الأمان، والى قيادة البشرية.

ويا أيها العبد المؤمن الصائم: لا تنس أن تخصّ المستضعفين من المؤمنين بدعاء خاصّ وخالص، ولا تنس أن تخصّ المجاهدين من المؤمنين بدعاء خاصّ وخالص، ولا تنس أن تخص المنكوبين والمكروبين من المؤمنين بدعاء خاصّ وخالصن لا تبخل على قوم مؤمنين بالدعاء وأنت آمِن في بيتك وعندك قوتك وقوت عيالك بينما هم يعانون الخوف أو الجوع أو الهم والألم، بينما هم يجودون بأموالهم وأرواحهم وأوقاتهم في سبيل

الله؛ بِذلك أيها العبد الصائم تكون تعبّدتَّ الله بالدعاء واستغللت دعوتك المستجابة ووظفتها خير توظيف.

فيا أيها العبد الصائم: يا مَنْ جاد عليك ربك بدعوة مستجابة جد بشيء من هذه الدعوة للأمة كلها اقتداء بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما رأيت من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيب نفس قلت: يا رسول الله! ادع الله لي، فقال: (**اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، ما أَسَرَّتْ وما أعلنت**)، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أيسرك دعائي**؟) فقالت: ومالي لا يسرني دعاؤك؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة**).

وخُصَّ المستضعفين والمجاهدين بدعوة، وادع على من يظلمهم، اقتداء بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي الحديث الصحيح، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَنَتَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى صَلاَةِ العتمة، وفي رواية في صلاة الفجر، شَهْرًا يَقُولُ فِى قُنُوتِهِ بعد الركوع: (**اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِى رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ (قريش)، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ**).

ويا أيها الصائمون، يا أصحاب الدعوات المستجابة: كم بحاجة المستضعفين اليوم من المسلمين والمجاهدين والمنكوبين والمسجونين في مختلف بقاع الأرض إلى الدعاء الخالص والصادق، خاصة في ظل حكم الطغاة الظلمة المستبدين، وفي ظل هجمات الكفرة ومكرهم وسطوتهم.

فلا تنس أمة الإسلام من الدعاء، فهذا من صدق انتمائك لهذه الأمة المحمدية، ومن صدق عقيدتك وإيمانك، فقد قال ربك سبحانه: (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**) [التوبة:71]، ووصف الله العلاقة بين المؤمنين بقوله سبحانه: (**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) [الفتح:29]، (**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) [المائدة:54]، قال الطبري: يعني- تعالى ذكره- بقوله: (**أذلة على المؤمنين**): أرقَّاء عليهم، رحماء بهم، وهذا يوجب منك أعظم الدعاء للأمة، وبخاصة للمستضعفين منهم، والقائمين على أمر الدين والدعوة والجهاد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

أيها العبد الصائم: إنك إن عملت بهذا فاستغللت دعوتك المستجابة فدعوت لنفسك بما شاء الله لك من الأدعية، ثم دعوت لأهل بيتك بما شاء الله لك من الأدعية، ثم دعوت لأمتك بما شاء الله لك من الأدعية، تكون بذلك قد استغللت دعوتك المستجابة خير استغلال، ووظفتها أحسن توظيف، وتكون بذلك قد تعبّدت الله بهذه الدعوة المستجابة وبالدعاء، وتكون بذلك عشت رمضان، وأعطيت لصيامك معنى العبودية الصادقة، وتكون بذلك قد جُدْتَ بما جَادَ الله عليك به من أفضاله وعطاياه في هذا الشهر الكريم لك، ومن ذلك تلك الدعوة المستجابة.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

رمضان وعبودية الاحتساب

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمنون، أيها الصائمون: **"إِيمَاناً واحتسابا"**، لعلَّ تلك الجملة لا تكاد تفارق أيام وليالي وساعات وأطراف رمضان إلا وتتردد في جنباته، إلا ويُسمع لها تالٍ في مسجد، أو قارئ في كتاب، أو متحدث في إذاعة وتلفاز.

"إيمانا واحتسابا" أصبحت عنوان كتاب رمضان، أصبحت عَلَماً على شهر رمضان، حتى كأنها لم تُقَل إلا فيه، وكأنها لم تنزل إلا له.

"إيمانا واحتسابا"، جملة عظيمة القدر، جليلة الفائدة، أرادها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تكون أحد معالم روايات ودروس وأحاديث وأعمال رمضان.

"إيمانا واحتسابا" أرادها الله تعالى أن تكون السر الكبير لرمضان، أرادها ربنا سبحانه أن تكون الدرس الكبير الذي نتربى عليه في رمضان.

"إيمانا واحتسابا" يكررها رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثة أحاديث رمضانية صحيحة وعجيبة، لا يكررها زيادة في الكلام، ولا يقولها تطويلا في المواعظ، بل قالها رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبني من خلالها صرح الصالحات والطاعات، على أساس الاحتساب، ولا غير الاحتساب.

الاحتساب لله تعالى ولا لشيء غير الله سبحانه، فإذا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في الصحيح فيما يرويه لنا أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحديث الأول: **(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**، وقال في الحديث الثاني: **(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**، وقال في الحديث الثالث: **(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**.

ما معنى إيمانا؟ قال شُرَّاحُ الحديث: أي اعتقادا منك- أيها المؤمن- أن الله تعالى هو الذي فرض ذلك وأمَر به.

وأما احتسابا، موضوعنا وفائدتنا الكبرى، فمعناها: إخلاصا لله تعالى، بأن يبتغي المؤمن بعمله هذا وجه الله تعالى وحده، وطلبا للأجر وللثواب من الله وحده، لا يقصد رؤية الناس، ولا ممدحتهم، ولا رجاء ثنائهم، بل يعمل عمله هذا طلبا لرضاء الله دون سواه، لا يقصد بعمله إلا ما عند الخالق الدائم لا ما عند المخلوق الفاني.

أيها الصائمون: "إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا" يقولها رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكررها تأكيدا وتعليما وتربية: **(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا)**، **(مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا)**، **(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا)**.

يريد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منك أيها المؤمن أن تكون محتسباً لأعمالك الرمضانية في النهار وفي الليل، في أول الشهر وفي آخره، تبتغي بها وجه الله تعالى وحده.

يريد منك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقوم بعبودية الاحتساب لله تعالى في رمضان، وأن تتربى على عبودية الاحتساب بعد رمضان، وفي حياتك كلها، فهذا هو سرّ عبودية الصوم الأعظم، وما أعظمه من سرّ! ولذلك أبَان الله تعالى عن هذا السّر، وأقر هذه العبودية الجليلة، عبودية الاحتساب، عبودية الإخلاص.

أخرج مسلم في صحيحة عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِى**).

تأملوا ماذا يقول ربنا! وماذا يشترط سبحانه! "يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِى"، "من أجلي"، يقول ربنا سبحانه: الصوم الذي أعظمه وأجزي به صاحبه الصائم هو ذلك الذي يصوم فيترك طعامه ويترك شهوته لأجل الله تعالى فقط، احتسابا له سبحانه، لا يبتغي من وراء ذلك إلا الأجر من الله تعالى، فمَن كان محتسبا في صيامه فلا يصوم نهار رمضان إلا لأجل الله، ومن صام لأجل الله صبر وتحمَّل، ولا يقوم رمضان إلا لأجل الله، ومن قام لأجل الله تواضع وصبر وأدام القيام.

عباد الله: مَن تربَّى على عبودية الاحتساب، احتسب جوعه وعطشه في الحر الشديد وهو صائم لوجه الله، واحتسب تعبه وسهره وقيامه وسحوره لوجه الله.

مَن تربَّى على عبودية الاحتساب، احتسب سائر عباداته الصغيرة والكبيرة في رمضان، وفي غير رمضان لوجه الله، ذلك ما أراده منا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث يقول، كما في البخاري: (م**مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيماناً وَاحْتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيراطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ**).

تأمل معي: "مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيماناً وَاحْتِسَاباً"، فيريدك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تحتسب الأجر من الله في كل عملك، حتى حينما تتبع جنازة مسلم. وكذلك في كل عبادة، صغيرة كانت أو كبيرة احتسب فيها لله تعالى.

من تربى على عبودية الاحتساب، احتسب في رمضان وفي غير رمضان صبره على مرارة الدنيا، وقساوة الناس، واحتسب عفوه وحلمه وتجاوزه عمَّن أساء إليه وظلمه، في رمضان وفي غير رمضان، احتسب كل ذلك لوجه الله، فتهون عليه الدنيا ومشاكلها وشدتها.

لقد قال سبحانه في وصف هؤلاء المحتسبين لأجله سبحانه: **(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)** [الرعد:22]، وفي الحديث الصحيح، كما في مسند احمد عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(مَا تجرَّعَ عبدٌ جُرعةً أفضل عند الله عزَّ وجل من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى)**.

عباد الله: العبد الذي يتربى على عبودية الاحتساب، يحتسب ما ينفقه من مال حلال في أبواب الخير كلها، في رمضان وفي غير رمضان، فيطلب الأجر من الله تعالى، ولا يبتغي ألا وجه الله، ففيما ينفق من مال ليطعم الجائعين من أقارب أو أباعد يحتسب، قال تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا)** [الإنسان:9-10].

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ)، ولذلك كانت الصِّدِّيقَةُ عائشةُ رضي الله تعالى عنها تبعث بالصدقة إلى أهل بيت، ثم تسأل الذي أرسلته ماذا قالوا؟ فإذا ذكر دعاءً دعت لهم بمثله، لماذا تفعل ذلك؟ ليبقى لها ثواب الصدقة خالصاً عند الله عز وجل.

وفي الحديث الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لسعد: **(إنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله عز وجل إلا أُجِرْتَ بها، حتى ما تجعل في فم امرأتك)**.

ويحتسب فيما ينفق من مال في أبواب الخير وعمل الصالحات، يحتسب ماله وعمله لله تعالى، ففي الحديث الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ)**.

العبد الذي يتربى على عبودية الاحتساب، يحتسب دعوته وتدريسه ووعظه وإمامته وجهاده وقيامه بأمر الدين، في رمضان وفي غير رمضان، يحتسب ذلك لله تعالى وحده، يبتغي به ما عند الله تعالى، كما كانت حال الصحابة الذين تربّوا على عبودية الاحتساب وما عرفوا غيرها.

ففي الحديث الصحيح عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن خباب رضي الله عنه قال: "هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ- انظروا وتأملوا الاحتساب بدعوتهم يقول: نلتمس وجه الله- فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا(يجنيها)؛ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ الْإِذْخِرِ".

وقد بين لنا ربنا سبحانه احتساب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدعوتهم وهجرتهم، ونصرتهم لدين الله، بل وعباداتهم وطاعاتهم، وأن ذلك كله كان منهم احتسابا لله تعالى، وطلبا لما عنده جل جلاله.

فقال الله عز وجل: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)[الحشر:8]، قال ابن كثير: أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه.

وقال تعالى في احتسابهم أيضا: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**) [الفتح:29].

نعم يا عباد الله، العبد الذي يتربى على عبودية الاحتساب يحتسب في رمضان وفي غير رمضان مواقفه الاجتماعية، وزياراته، وشفاعاته، وحلوله لمشاكل الناس، وبذله لوقته ولجاهه، يحتسب ذلك كله لله تعالى، فلا يبتغي به إلا وجه الله تعالى، قال ربنا سبحانه: (**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)[النساء:114]، قال ابن كثير: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله)، أي: مخلصا في ذلك، محتسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل.

أيها المؤمنون الصائمون: ما جزاء المحتسبين، الراجين ما عند الله؟ ما ثمرات الاحتساب؟ أيها المؤمن، بالاحتساب لله تعالى وبابتغاء وجهه سبحانه تكون أيها العبد محط أنظار الله تعالى، ينظر الله إلى نيتك الخالصة، ينظر الله تعالى إلى قلبك الطاهر النقي الذي أقبل على الله، وينظر الله إلى عملك الذي عملته محتسبا مبتغيا وجهه سبحانه وتعالى، فعن أبي هريرة، كما في صحيح مسلم، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم -وأشار بأصابعه إلى صدره- وأعمالكم".

أيها المؤمن: بالاحتساب لله تعالى وبابتغاء وجهه سبحانه يتقبل الله عملك أيها العبد المخلص المحتسب، ويرفعك درجات، ويرفع مقامك، فكما في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال له فيما قال: "إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجةً ورفعة". وتأمل معي قوله: "تبتغي به وجه الله".

بل ويعظم الله الأجر ويكثره لكل عبد يعمل من الأعمال الخيرية والإنسانية المشروعة والمحبوبة إلى الله تعالى مبتغيا بها وجهه سبحانه، كما قال تعالى: (**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)، وتأمل معي قوله: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ).

ووصف الله سبحانه هؤلاء العباد المحتسبين المخلصين الذين يرجون بأعمالهم ما عند الله سبحانه بأنهم من أهل الخير، وبأنهم مفلحون في الدنيا وفي الآخرة، فقال سبحانه: (**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [الروم:38].

وبأنهم مَرْضِيُّونَ، وبأن الله عنهم من الراضين، كما في قوله سبحانه وتعالى: (**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى*الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى*وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى*إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى*وَلَسَوْفَ يَرْضَى**) [الليل:17-21].

ووعد الله تعالى العبد المحتسب والراجي بعمله ما عند الله فقط دون ممدحة من الناس أو صرف نظرهم إليه، وعدهم سبحانه بالخاتمة الحسنى إن هم داموا على ذلك، ورحلوا إليه سبحانه وهم راجون بأعمالهم وجهه الكريم، ورضوانه العظيم، فكما في الحديث الصحيح الذي يرويه حذيفة رضي الله عنه قال: أسندت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى

صدري فقال: (**مَن قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة**).

أيها المؤمنون الصائمون: لقد بلغ من فضيلة الاحتساب ومن منزلة المحتسبين والمخلصين والذين لا يبتغون سوى مرضاة ربهم سبحانه أن الله تعالى أكرمهم فجعلهم سببا في تنزل النصر، ففي الحديث الصحيح، عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**).

فهذه معالم وبركات عبودية الاحتساب وابتغاء ما عند الله، تلك العبودية التي هي السر العظيم لعبادة الصوم، والسر الأعظم لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إيمانا واحتسابا".

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يا عباد الله: أما أولئك الذين لا يعرفون عبودية الاحتساب في حياتهم، الذين لا يحتسبون بعملهم ما عند الله تعالى، ولا يرجون ثوابه، ولا يقصدون وجهه الكريم، وإنما يصنعون ما يصنعون تزلفا وطمعا في الوجاهة، وسعيا لشهرة وممدحة، وثناء قصير العمر، فإنهم بعيدون عن الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، هم وأعمالهم.

فأعمالهم وأقوالهم وما قدموه مما لم يبتغوا به وجه الله مردود عليهم، وباطل ما كانوا يصنعون، كما قال سبحانه وتعالى: (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**)

[الفرقان:23]، قال الطبري: وقوله: (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا): فجعلناه باطلا؛ لأنهم لم يعملوه لله، وإنما عملوه للشيطان.

ولا أَجْرَ لهم ولا حسنات يعطونها على هذه الأعمال المشوبة غير الخالصة لله تعالى وحده، فعن أبي سعيد بن أبي فضالة، كما في الحديث الحسن، قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: مَن كان أشرك في عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**).

وعن أبي أمامة، كما في الحديث الحسن، قال: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا شيء له**)، فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا شيء له**)، ثم قال: (**إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي وجهه**).

وأما في الآخرة فما ينتظر هؤلاء الذين انحرفت مقاصدهم ونياتهم وما أخلصوا لله تعالى وما احتسبوا وما ابتغوا وجهه الكريم، ما ينتظرهم إلا الخزي والفضيحة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه كما في الحديث الحسن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**).

هؤلاء ما ينتظرهم إلا العذاب الأليم، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كما في صحيح مسلم أن رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى**

اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ! وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ).

فهؤلاء فعلوا أعمالا مشروعة لا محرمة، ولكنها خلت من عبودية الاحتساب لوجه الله، فكبكبوا في النار على وجوههم. فرحماك رحماك يا ربي.

فأين مَن قال الله فيهم -من المحتسبين والمخلصين- مادحا ومُثْنِيَاً وواعدا: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)؟ ممن قال فيهم- من المرائين وطلاب الوجاهة- ذامًا ومتوعدا: **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)** [الفرقان:23].

فاحتسِب يا عبد الله صيامك وقيامك وسائر أعمالك الطيبة في رمضان وفي غير رمضان، احتسبها واطلب أجرها من الله تعالى وحده، وإياكَ إياكَ أن تزِلَّ قدمُك فتطلب ما تحت أقدام الخلق من مطالب الدنيا الفانية! فاللهَ اللهَ في عبودية الاحتساب!.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

"الإنفاق" وعقدة نقص المال: معالجة قرآنية نبوية

* الخطبة الأولى

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

لماذا لا ينفق بعض المسلمين أموالهم في سبيل الله؟ لماذا لا ينفق بعض الناس من أموالهم على أرحامهم وأقاربهم المحتاجين؟ لماذا لا ينفق بعض الناس من أموالهم على الفقراء والمساكين؟ لماذا لا ينفق بعض الناس من أموالهم في بناء المساجد، وفي دعم دور القرآن الكريم، وفي بناء مراكز الدعوة والعلم؟ لماذا لا ينفق بعض الناس من أموالهم في إغاثة المنكوبين وإطعام الجائعين؟ لماذا لا يخرج بعض الناس زكاة أمواله؟ لماذا يتردّد بعضنا إذا أراد أن ينفق شيئا قليلا من ماله في سبيل الله، ولكن لا يتردد حينما ينفق كثيرا من ماله في سبيل الدنيا؟ لماذا يحسبها بعضنا كثيراً عندما يريد إخراج ماله لأجل الله، ولكنه لا يحسبها كذلك لما يخرج ماله لشراء حاجيات البيت؟!

أيها الأخوة: مهما حاولنا أن نجيب عن هذه الأسئلة، ومهما تنوعت إجاباتنا، ومهما اختلفنا في بيان الأسباب، فإننا جميعا نتفق على شيء واحد، وهو أن: من لا ينفق ماله في سبيل الله؛ عنده عقدة نقص المال، عنده عقدة الخوف من نقصان ماله.

فكثير من الناس لا ينفق في سبيل الله؛ لأنه ينظر إلى ماله على أنه سينقص، فهو يدفع شيئا من ماله ولكن بلا مردود مادي كما يحصل معه حينما يدفع أمواله لتاجر، فهو يدفع نقودا، ويأخذ بضاعة، ولكنه هنا يدفع مالا، ولا يسترد مقابله شيئا ماديا محسوسا،

وهذه هي عقدة نقص المال، كثير من الناس لا ينفق في سبيل الله؛ لأنه ينظر إلى ماله على أنه سيقل، كثير من الناس لا يخرج زكاة أمواله؛ لأن عنده عقدة الخوف من نقصان المال.

هؤلاء الذين يمسكون أموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله ينظرون إلى الإنفاق في سبيل الله أنه تنقيص لكمية أموالهم، يعتبرون الإنفاق في سبيل الله خسارة وغرم، وفقدان لبعض أموالهم.

ولقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء أصحاب النظرة المادية، هؤلاء الذين ينظرون إلى الإنفاق في سبيل الله، إلى إخراج الزكاة، إلى إطعام الفقراء، إلى التصدق على الأرحام بحساب مادي صرف، ذكر القرآن الكريم هذا النموذج البخس من أولئك الذين يستسهلون كل إنفاق لأجل الدنيا، ولكنهم يستثقلون ويستعظمون كل إنفاق لأجل الله والدار الآخرة، فقال تعالى: **(وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا)**[التوبة: 98]، أخبر تعالى أن منهم: (مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أي: في سبيل الله: (مَغْرَمًا) أي: غرامة وخسارة، قال الطبري: "ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك، أو في معونة مسلم، أو في بعض ما ندب الله إليه عباده: (مَغْرَمًا) يعني: غرمًا لزمه، لا يرجو له ثوابًا، ولا يدفع به عن نفسه عقابًا"، إذن: الإنفاق: غرم وخسارة ونقصان عند قوم. فلماذا لا ينفقون؟ هو خوفهم من نقصان المال، ما سبب حجبهم لأموالهم عن الفقراء وإمساكها عن أوجه البرّ والصدقات؟ هو خوفهم من أن يقل مالهم، فهو ينفقه في نظره دون أن يعود عليه بشيء مادي، ولكنه على استعداد أن يدفع أضعاف مال الصدقة للدنيا دون تردد؛ لأنه يعود عليه بنفع مادي محسوس، فنظرته مادية ودنيوية بحتة، لا يعرف شيئا اسمه: التجارة مع الله تعالى، ولا يعرف شيئا اسمه: وما عند الله خير وأبقى، وهذا هو ما راهن عليه الشيطان الذي بين الله لنا أساليبه وتأثيراته النفسية على من يريد الإنفاق، فقال سبحانه عنه: **(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء)** [البقرة: 268] أي: يخوفكم الفقر، لتمسكوا ما بأيديكم، فلا تنفقوه في مرضاة الله.

أيها الأخوة: عقدة نقص المال، الخوف من أن يقلّ المال، هو سبب قوي وعميق، ويَسْكُن نفوس كثير من الناس، يحجزهم عن إنفاق مالهم في سبيل الله تحديدا، يمنعهم عن السخاء بالصدقة، والكرم بالعطاء، والجود بالبذل. ولذلك عالج الشرع هذه العقدة علاجاً قويما، مَنْ أصابه ومن أخذ به نفعه الله ما دام حيا، وأنفق من ماله ولو كان قليلا، عالج الشرع عقدة نقص المال والخوف من أن يقل المال علاجا نفسيا، وعقديا وواقعيا، يقتلع عقدة الخوف من نقص المال من جذورها.

أيها العبد المؤمن: تذكر حينما تخاف على: "مالِك من النقصان" فلا تنفق في سبيل الله، تذكّر: أن ربك تعالى هو المالك، هو المعطي، هو المتفضل، هو المنعم: فربك سبحانه هو مالكُ المال حقيقة وهو من ملكّكَ المال حقيقة، وهو من أعطاك ما في يديك من مال وتفضل به وأنعم به عليك، نعم، يا مَنْ تملك المال ولا تنفقه، المال هو مال الله، قال الله سبحانه: (**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِّ الَّذِي آتَاكُمْ**)[النور: 33]، انظر ماذا يقول ربك: (مِنْ مَالِ اللهِّ) قال الآلوسي في تفسيره: "وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه تعالى إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به، فإنّ ملاحظة وصول المال إليهم من جهته سبحانه مع كونه عز وجل هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:" كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، ثم قال: يا محمد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضحك، ثم أمر له بعطاء"، فتأمل قوله: "من مال الله الذي عندك" وإقرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له.

وتذَكّر يا مَن تملك المال ولا تنفقه أن هذا المال الذي بين يدك هو من فضل الله عليك؛ كما قال ذلك ربك سبحانه: (**ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُّ مِنْ فَضْلِهِ**)، وأن المعطي الحقيقي لك هو ربك سبحانه، كما قال تعالى عن نفسه: (**وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**)

[النجم: 48] "أي: مَلَّك عباده المال، وجعله لهم قُنْيَة مقيما عندهم، وأعطى القنية، وهو ما يبقى ويدوم من الأموال ببقاء نفسه، أو أصله"، وقال تعالى: (**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا**) [المدثر: 11- 12]، فالله هو مَنْ جعل له ذاك المال الذي كان في يديه، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع**)، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤكد تلك العقيدة بأن الله تعالى هو المعطي الحقيقي، فقال صلى الله عليه وسلم: (من آتاه الله مالاً)، أي من أعطاه الله مالاً.

ولذلك فالمؤمن الذي يفهم كل هذا يدرك أنه وكيل لهذا المال الذي معه وأنه قيّم عليه، كما وصف ربنا سبحانه حال الإنسان مع المال وبين علاقته الصحيحة به وذلك بقوله تعالى: (**وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**) [الحديد: 7]، قال أهل التفسير: "أي جعلكم سبحانه خلفاء عنه عز وجل في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، عَبّرَ جل شأنه عما بأيديهم من الأموال بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً في الإنفاق، فإن من علم أنها لله تعالى وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق، وجيء بالموصول في قوله: (مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) دون أن يقول: وأنفقوا من أموالكم أو مما رزقكم الله؛ لما في صلة الموصول من التنبيه على غفلة السامعين عن كون المال لله جعلَ الناسَ كالخلائف عنه، في التصرف فيه مدةً مَّا، فلما أمرهم بالإنفاق منها على عباده كان حقاً عليهم أن يمتثلوا لذلك، كما يمتثل الخازن أمرَ صاحب المال، إذا أمره بإنفاذ شيء منه إلى من يعيِّنه".

فيا مَنْ تملك المال ولا تنفقه، ويا من عندك عقدة نقص المال، يا من تخشى على مالك أن ينقص ويقلّ إنْ أنت تصدقت وأنفقت وزكّيت وأعطيت لله، وفي سبيل الله: تذكر أن الله تعالى هو من أعطاك هذا المال الذي معك، وهو أعطاك إياه تفضلا منه سبحانه،

ومِنّة منه سبحانه، ونعمة منه سبحانه، وأنك وكيل عليه مستخلف عليه، والله ناظر إليك كيف تتصرف بما أعطاك إياه، وعلى ما استخلفك عليه من مال، أليس هذا كفيل بأنْ يطرد من نفسك عقدة الخوف من نقصان مالِك.

أيها المؤمنون بالله، أيها الموقنون بلقاء الله، أيها المصدقون بكلام الله: نستطيع جميعا أن نتخلص من عقدة الخوف من نقصان المال، وأن نقدم على الإنفاق في سبيل الله غير هَيّابين ولا مُترددين، ولا مُوسوسين ولا مُقَتّرين، إذا صدقنا ربنا سبحانه، إذا أيقنا بكلام ربنا سبحانه حينما قال لكل من ينفق في سبيله بأنني سأعوّضك، سأعوّضك، سأُخْلِفُك لا محالة، استمعوا معي بقلوبكم إلى هذه الآية الكريمة التي لو لم ينزل غيرها في الإنفاق لكفى، لكفى والله، يقول الحق سبحانه وتعالى: **(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)** [سبأ: 39]، اقرأ معي وردد معي: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) (فَهُوَ يُخْلِفُهُ).قال أهل التفسير: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) "أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه عليكم، يعطى بدله وما يقوم مقامه عوضاً عنه: في الدنيا بالبدل بالمال كما هو الظاهر، أو بالقناعة، أو بغير ذلك من الخيرات والبركات، وفي الآخرة بالجزاء والثواب"، وقال ابن عاشور: "وظاهر الآية أن إخلاف الرزق يقع في الدنيا وفي الآخرة"، وقال ابن العربي: "قد يعوّض مثله أو أزيد، وقد يعوض ثواباً، وقد يدخر له وهو كالدعاء في وعد الإجابة"، وقال بعض أهل العلم: وقد يعوّض صحة وقد يعوّض تعميراً، ولله في خلقه أسرار. وقال علماء التفسير في أسرار هذه الآية: "وأكّد ذلك الوعد بصيغة الشرط وبجعل جملة الجواب اسمية وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: (فَهُوَ يُخْلِفُهُ)، ففي هذا الوعد ثلاثة مؤكدات، وجملة: (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) تذييل للترغيب والوعد بزيادة، لبيان أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق. و(مِنْ شَيْءٍ) بيان لما في (مَا) من العموم، (خَيْرُ) بمعنى أخير؛ لأن الرزق الواصل من

غيره تعالى إنما هو من فضله أجراه على يد بعض مخلوقاته، فإذا كان تيسيره برضى من الله على المرزوق ووعد به كان ذلك أخلق بالبركة والدوام"، وزادك الله تطمينا، فقال لك سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)[البقرة: 272]، وقال سبحانه: **(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)**[الأنفال: 60]، قال السعدي: "(مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قليلا كان أو كثيرا: (يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، ولا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا".

فيا من تُمْسِك خشية الفقر، ويا مَن تخشى على مالك أن يقلّ، ويا مَن تخاف نقص مالك، استمع إلى رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحدثك عن هذا العِوَض، وهو يعدك بأنْ يقابلك الله بالمثل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إن الله قال لي: أنفق أنفِق عليك)**، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيدنا بلال رضي الله عنه: **(أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا)**.

نعم، يا أيها الأخوة المؤمنون: إن مَنْ يصدّق كلام الله هذا، وإن من يصدق كلام رسول الله هذا، لا يمكنه أن يمسك ماله فلا ينفقه في مرضاة الله خشية أن ينقص هذا المال، فربك سبحانه الذي لا تنفد خزائنه، وعدك بأنك إذا أنفقت في سبيله بأنه سيعوضك، وسيخلفك وسينفق عليك، فماذا تريد أكثر من ذلك؟ ممن تريد وعدا أعظم من وعد الله لك؟ فأنفق وتصدق وزكّ وأعطِ لله تعالى، والله سيعوضك وسيزيدك من حيث لا تحتسب، وإياك من شبه إبليس والأعراب المنافقين بأن الإنفاق: مفقرة ومخسرة ومغرمة.

أيها العبد المؤمن: تذكّر حينما تخاف على "مالِك من النقصان" فلا تنفق في سبيل الله، تذكّر: بأن الله وعدك وعدا لا يقدر عليه أحد من الخلق أجمعين، فقد وعدك بأن يضاعف ويضاعف لك أجر هذا المال الذي أنفقته، فإن كان في الأصل يستحق ألف حسنة وإذا بالله يضاعفه لك ليصبح سبعمائة ألف حسنة، فأي جزاء هذا يا عباد الله،

وأي تقتير وبخل وإمساك للمال يبقى بعد ذلك؟ استمع إلى وعود ربك الحق سبحانه وتعالى: (**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**) [البقرة: 245]، (**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**) [الحديد: 11]، (**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**) [الحديد: 18].(**إِن تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**)[التغابن: 17]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَن أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف**)، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود: أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة**)، وفي رواية: قال: (**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة**).

وبين لك- أيها العبد المؤمن- الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمراً عجباً، يا من تنفق ابتغاء وجه الله تعالى، بين لك أن النفقة لا تبقى بحجمها الطبيعي، ولا بوزنها المادي، ولا بقيمتها وثمنها الدنيوي، فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله بتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل**)، فبالله عليكم من يستطيع أن يتصدق بجبل عظيم من التمر؟ وبالمقابل من يستطيع أن يعرف أجر جبل عظيم من التمر أنفق في سبيل الله؟ فيا الله كم يربح المسلم وكم يكبر حينما يصدق كلام ربه سبحانه وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتجده ينفق ويطعم ويتصدق ويزكي وهو ضاحك مستبشر، وكم بالمقابل يخسر ويصغر من لا يوقن بكلام ربه سبحانه، وبكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتجده لا ينفق ولا يتصدق ولا يزكي، وإذا أراد أن ينفق فإنه يقتّر ويبخل ويقلّل ويحسبها ألف حساب ويعطي وهو عابس مكفهر.

ويا أيها الممسك عن الإنفاق ويا أيها المقتر: وإن مما يجعلك تتخلص من عقدة الخوف من نقص المال وتنفق في سبيل الله: أن تتذكر بأن الملائكة تدعو لك إذا أنفقت في سبيل الله، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في الحديث الصحيح: (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا**)، وأن نفقتك هذه هي التي تحرق ذنوبك؛ ففي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لكعب بن عجرة: (**يا كعب بن عجرة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**)، وإنها هي التي تنفعك في المحشر، وما أدراك ما المحشر؛ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه كما في الحديث الصحيح قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**)، قال يزيد: فكان أبو الخير مرثد: "لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة".

وأعجب من كل ذلك أن زكاتك لمالك تُخْرِج ما فيه من ضرّ وشرّ؛ لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث الذي رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه: (**مَن أدّى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره**).

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

يا مَن تخشى على مالك من النقصان، ويا مَن تمسك مالك عن الفقير والمسكين، ويا مَن تريد أن يبقى مالك كثيرا: تذكّر كلما أمسكت مالك ولم تنفق في سبيل الله أن ملائكة الله تدعو عليك وعلى مالك؛ ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام أحمد، عن أبي

الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ما طلعت شمس قط إلا وبجنبيها ملكان يناديان: اللهم من أنفق فأعقبه خلفا، ومن أمسك فأعقبه تلفا**).

وتذكر أن الله سيجازيك بالمثل؛ ففي الحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا توكي فيوكي عليك**)، وفي رواية: (**أنفقي أو انفحي أو انضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك**)، قال شراح الحديث: معناه: "تصدقي من نصيبك: "ولا توعي" أي: لا تمنعيه بالإيعاء والإدخار، ويروى: "ولا توكي فيوكى عليك"، والإيكاء: شد رأس الوعاء بالوكاء، وهو الرباط الذي يربط به، أي: لا تمنعي ما في يدك، فتنقطع مادة بركة الرزق عنك، فإن مادة الرزق متصلة باتصال النفقة، ومنقطعة بانقطاعها. "وانفحي" بفتح الفاء، أي أعطي: "وانضحي" بكسر الضاد، أي أعطي أيضا وهو أبلغ من: "انفحي"، "ولا تحصي" أي لا تمنعي، وقيل: لا تعديه فتستكثريه فيكون سببا لانقطاع إنفاقك، فيحصي الله عليك، هو من المشاكلة على حد: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ) [آل عمران: 54] "وارضخي" أي أعطي بغير تقدير: "ولا توعي فيوعي الله عليك" أي لا تمسكي المال في الوعاء، فيمسك الله فضله وثوابه عنك".

هذا كله فضلا عما ينتظر مانع حق الله في ماله الذي ملكه أصلا إياه؛ كما قال ذلك ربنا بنفسه سبحانه: (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ*يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**)[التوبة: 34-35].أو ليس إمساك المال وعدم الإنفاق منه في سبيل الله تعالى بعد ذلك هو من أعظم الشر بأن تعذب به نفسه، وبأن يحرق جسدك بطريقة مؤلمة ومخزية وطويلة.

وأخيرا: فإني أقول لكل مسلم ولكل من يملك مالا قلّ أو كثر أنفق في سبيل الله وأطعم وأخرج حق الله الذي فيه، ولا تمسك خشية الفقر، ولا خوفا من الخسران، ولا تسويفا ولا تقتيرا ولا بخلا، أنفِق تصديقا منك لنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تصديقا منك بقسم نبيّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أقسم فقال صلى الله عليه وسلم: (**ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه**)، وقال منها: (**ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ**)، وطبّقَ ذلك واقعياً في حياته في درس عملي أعطاه في بيته صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته فكما في الحديث الصحيح، عن أبي ميسرة عن عائشة: أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما بقي منها؟**) قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: (**بقي كلها غير كتفها**).

لأجل هذا- يا أيها الإخوة- كان الإنفاق من أكبر براهين الإيمان؛ لقول رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم: (**والصدقة برهان**)، أي دليل على إيمان صاحبها.

وبذلك -يا عباد الله-: تنتهي من نفوسنا عقدة نقص المال، وتموت من صدورنا وسوسة الخوف من الفقر، وتتبخر من عقولنا مقولة أن المال يقلّ، وتزول من حساباتنا عقيدة الأعراب الفاسدة أن النفقة مغرم، ويَبقى في عقولنا أن المال هو مال الله، ويَبقى في عقيدتنا أن المعطي والمغني هو الله، وأنّ الله يخلف على المنفق في الدنيا ويضاعف له الأجر في الآخرة، ويَبقى في قلوبنا قسم رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبض بقوله: (**ما نقص مال من صدقة**)، وتبقى كلماته صلى الله عليه وسلم تصدح في دنيانا الفانية: (**أنفق بلالاً، ولا تخش من ذي العرش إقلالا**).

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

علو همّة الصائم في العشر الأواخر

*** الخطبة الأولى:**

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

"اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا".

أيها الصائمون والصائمات: قضت حكمة الله تعالى في ترتيب هذا الشهر الفضيل، وتقسيم أزمنته، أن يجعل في ثلثه الأخير، في خاتمته، ما يبعث على علوّ الهمة وتجديد الغدوة والروحة؛ نكاية بالشيطان الذي يقعد في طريق الصوّام، وبالنفس الأمارة التي تثبط القوّام، وبالمقابل محبة لعباده وإكرامًا لهم، فاختار الله الحكيم أن يُودِع الثلث الأخير من الشهر الفضيل العشرَ الأواخر، خلاصةَ رمضان وتاجَه، من الخير والأسرار والمنازل والفضائل ما يسر به عباده الصوّام، إذا ما هم اجتهدوا وجدوا وطلبوا ما فيها من البركات، إرضاءً لرب البريات سبحانه وتعالى.

أيها الصائمون والصائمات: لقد كان للعشر الأواخر من رمضان عند النبي صلى الله علية وسلم وأصحابه وقفة وهمة، ولهم فيها هدى وجِدّة، فقد كانوا أشد ما يكونون حرصًا فيها على الطاعة والعبادة والقيام والذكر والدعاء والتضرع وسائر القرب.

واعلموا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يحرص على العشر الأواخر كل هذا الحرص إلا لما يعلم من أمرها وشأنها وجلالة قدرها ما الله عز وجل وحده به عليم؛

تقول عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تصف لنا حاله في الثلث الأخير من رمضان كما في صحيح مسلم: **"كان رسول الله يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها"**.

وتأمّلوا جيدًا في كلامها، إنها تصف اجتهاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر مقارنة باجتهاده في العشر الأوائل، والثانية بأنه يفوقهما ويزيد عليهما، مع علمنا بعظيم طاعته وحرصه وتعبده في أوائل وأواسط رمضان، إلا أنه كان يزيد جهده ويضاعفه ويقويه في الأواخر؛ تقربًا لربه، وعبودية وطاعة له سبحانه، رجاء أن يظفر بالفضل والخير المودع فيها من قبل الله سبحانه.

ولذلك كانت حاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النقيض من أحوال بعض الصائمين في زماننا؛ حيث يصيبهم الفتور، ويلحق بهم التراجع، ويطوف بهم التكاسل منذ أن يحاذوا العشر الأوائل، مع أن سرّ العبادات يقول غير ذلك، يقول: إن المفروض بعبادات الصائم وقُرباته في الأيام الأوَل أن تشحنه وتدفعه وتقوي إيمانه وتزيد رغبته، فما أن يصل العشر الأواخر إلا وقد اشتاقت نفسه لمعانقة ليلة القدر، وقطف ثمار العشر الأواخر، وجمع بركاتها.

فهذا ما نريده أيها الصوام القوام، الراغبون الراهبون، العابدون الحامدون، الجادّون المجتهدون، المقتفون لآثار نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه الكرام.

أيها الصائمون والصائمات: تعالوا بنا ندخل إلى بيت رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر، ندخله لنرى ليله وليل من حوله، تصف لنا ذلك زوجُه الكريمة عائشةُ رضي الله عنها فتقول– كما في الصحيحين: (**إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مئزره**)، وزاد مسلم: (**وجَدَّ وشد مئزره**).

فقولها: "وشد مئزره": كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، ومعناه التشمير في العبادات. وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع.

وقولها: "أحيا الليل": أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها، والمراد أنه يحيي معظم الليل.

وقولها: "وأيقظ أهله" أي: أيقظ أزواجه للقيام، ومن المعلوم أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوقظ أهله في سائر السنة، ولكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل، ففي صحيح البخاري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استيقظ ليلة فقال: (**سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتن؟! ماذا أُنزل من الخزائن؟! من يوقظ صواحب الحجرات؟! يا ربّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**)، وفيه كذلك أنه كان عليه السلام يوقظ عائشة رضي الله عنها إذا أراد أن يوتر، لكن إيقاظه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

فافعلوها- أيها الآباء الكرام- اقتداءً بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولن يكون اقتداؤكم به في إيقاظ زوجاتكم وأبناءكم وبناتكم إلا خيرًا لكم وبركة على أسرتكم وحياتكم، ونفعًا لآخرتكم، فهذا نبيكم وهذا ليله، وهؤلاء أهله في العشر الأواخر، فهل أنتم آخذون بطريقه وسالكين سبيله؟!

ومن فضائل العشر الأواخر: اختصاص الاعتكاف فيها في المساجد طاعة الله تعالى وقربة له سبحانه، وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف في هذه العشر الأواخر من كل رمضان.

أيها الصائمون والصائمات: إن فعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا يدل على اهتمامه بطاعة ربّه، ومبادرته الأوقات، واغتنامه الأزمنة الفاضلة، فينبغي علينا جميعًا الجِدّ والاجتهاد

في عبادة الله، وأن لا نضيّع ساعات هذه الأيام والليالي الفضيلة، فإننا لا ندري ماذا سيفعل بنا في قابل الأيام وما الذي سنحياه من الأزمان.

أيها الصائمون والصائمات: ومن فضائل هذه العشر الأواخر من رمضان وخصائصها ومزاياها أن فيها ليلة القدر، تلك الليلة المباركة التي وصفها الله تعالى في سورتين كريمتين: في سورة الدخان حيث قال سبحانه: (**حم*وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ*فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ*أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ*رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) [الدخان: 1-6]، وفي سورة القدر حيث قال سبحانه: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ*لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ*تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ*سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**) [سورة القدر]، فسماها الله تعالى ليلة القدر؛ وذلك لعظم قدرها وجلالة مكانتها عند الله، ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب فيها، فهي ليلة المغفرة، وقد خصها الله تعالى بخصائص وفضائل لا تجتمع لسواها:

ففيها أنزل القرآن العظيم، كلام رب العالمين.

وفيها تنزل الملائكة، والروح، وهو جبريل عليه السلام، وقد خصَّه بالذكر لشرفه، فيكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها وعظيم قدرها.

وصفها الله سبحانه بأنها مباركة؛ فقال تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**) وذات قدر، فقال تعالى: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**).

وصفها بأنها ليلة التقدير، فقال سبحانه: (**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**)، "أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السَّنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير"، كما في تفسير ابن كثير، فيُكتَب فيها

الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والعزيز والذليل، والجدب والقحط، وكل ما أراده الله تعالى في تلك السنة، "وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وكتابته له، ولكن يُظهر للملائكة ما سيكون فيها، ويأمرهم بفعل ما هو وظيفتهم". كما في شرح صحيح مسلم للنووي.

أكرم الله تعالى من قامها إيمانًا واحتسابًا بمغفرة ما تقدم من ذنبه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**)، متفق عليه. وقوله: "إيمانًا واحتسابًا"، أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، وطلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو سمعة.

وصفها بمضاعفة الأجر فيها: (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**) تنويهًا بشأنها، وإظهارًا لعظمتها (**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)، أي إحْياؤها بالعبادة فيها خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة، وهذا فضل عظيم لا يقدره قدره إلا رب العالمين تبارك وتعالى، وفي هذا ترغيب للمسلم وحث له على قيامها وابتغاء وجه الله بذلك، ولذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتمس هذه الليلة ويتحراها مسابقة منه إلى الخير، وهو القدوة للأمة، فقد تحرّى ليلة القدر.

وصفها بأنها سلام، أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذى كما قاله مجاهد، وتكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم العبد من طاعة الله عز وجل.

علامتها البارزة والثابتة في الأحاديث هي ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه "أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شُعاع لها". فهمتك همتك- أخي الصائم- في تحريها وتحصيل فضلها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها الصائمون والصائمات: يستحب تحري ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان خاصة؛ جاء في صحيح مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه وفيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**(ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ)**، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: **(وَإِنِّي أُرِيْتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ، وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ)**، فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ فَمَطَرَتْ السَّمَاءُ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ، فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ، فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ".

وليلة القدر في العشر الأواخر كما في حديث عائشة وحديث ابن عمر في الصحيح، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)**.

وفي أوتار العشر آكد؛ لحديث عائشة في البخاري أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر)**، وفي الأوتار منها بالذات، أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين.

وليلة القدر في السبع الأواخر أرجى، ولذلك جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه كما في الصحيحين: **(أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)**.

وهي في ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون، فقد جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث ابن عمر عند أحمد ومن حديث معاوية عند أبي داود أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**ليلة القدر ليلة سبع وعشرين**)، لكن كونها ليلة سبع وعشرين أمر غالب والله أعلم وليس دائمًا، ورجّح علماء السّنة أنها تتنقل في العشر الأواخر وليست في ليلة معينة.

وإنما أخفى الله تعالى هذه الليلة ليجتهد العباد في طلبها، ويجدّوا في العبادة، كما أخفى ساعة الجمعة وغيرها، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام وليالي هذه العشر طلبًا لليلة القدر، اقتداءً بنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله، وانظروا إلى المرأة العاقلة العالمة العابدة عائشة رضي الله عنها، ماذا كان همّها وماذا كان مبتغاها ورجاها وحاجتها؟! روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله: أرأيت أن وافقت ليلة القدر ما أقول؟! قال: قولي: (**اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني**).

فالهمة الهمة في العشر الأواخر- أيها الصوام القوام-، واعلموا أنّ ما تفعلونه من خير إنّما هو لأنفسكم، وإنما هو اقتداء بالسنة، فمن جدّ واجتهد وعبد وتقرّب وجمع الأجر فأكثر إنما هو لنفسه، ومن منا لا يحب الخير لنفسه.

"اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا".

والحمد لله رب العالمين.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

بيت النبي صلى الله عليه وسلم في العَشْر الأواخر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

"اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا".

أيها الصائمون والصائمات: اختار الله العليم الحكيم أن يُودِعَ الثلثَ الأخير من شهر رمضان المبارك العشرَ الأواخر، تاج رمضان وبركته، وجعل الكريم في هذه العشر من الخير والأسرار والمنازل والفضائل ما يرفع به قدر عباده الصائمين والصائمات إذا ما هم جدّوا وطلبوا ما في هذه العشر من البركات إرضاء لرب السموات سبحانه وتعالى.

ولما كان قدوة الصائمين والصائمات هو نبينا وحبيبنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما كانت حياته كلها لله تعالى، ولما كان يعيش أحوال العبودية لله تعالى في كل الأمكنة التي يكون فيها، ولما كانت حياته في ليالي العشر الأواخر أغلب من يشهدها هم أهله المقربون، ولما كان بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قدوة لبيوت المسلمين والمسلمات، كان لا بد لنا من وقفة ننقل فيها واقع بيت النبوة في الليالي العشر الأواخر؛ لعل الله تعالى يوفقنا لنتخذ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القدوة البيتيّة في هذه العشر المباركة.

أيها الصائمون والصائمات: اعلموا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يحرص على العشر الأواخر كل هذا الحرص؛ إلا لما يعلم من أمرها وشأنها وجلالة قدرها ما الله عز وجل وحده به عليم، تقول عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تصف لنا حاله

في الثلث الأخير من رمضان كما في صحيح مسلم: "كان رسول الله يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها". وتأمّلوا جيدا في كلامها إنها تصف اجتهاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر مقارنة باجتهاده في العشر الأوائل والثانية، بأنه يفوقهما ويزيد عليهما، مع علمنا بعظيم طاعته وحرصه وتعبده في أوائل وأواسط رمضان إلا أنه كان يزيد جهده ويضاعفه ويقويه في الأواخر؛ تقربا لربه وعبودية وطاعة له سبحانه، رجاء أن يظفر بالفضل والخير المودع فيها من قبل الله سبحانه. ولذلك كانت حاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النقيض من أحوال بعض الصائمين في زماننا، حيث يصيبهم الفتور مع قرب انتصاف رمضان، والمفروض أن عبادات الصائم وقرباته في أيام رمضان الأولى تشحنه وتدفعه وتقوي إيمانه وتزيد رغبته، فما أن يصل العشر الأواخر إلا وقد اشتاقت نفسه للظفر بليلة القدر.

أيها الصائمون والصائمات: تعالوا بنا ندخل الى بيت رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر، ندخله لنرى ليل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليل مَنْ حوله من أهل بيته.

أيها الصائمون والصائمات: تصف لنا حال بيت رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأواخر زوجُه الكريمة عائشةُ رضي الله عنها فتقول، كما في الصحيحين: **"إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مئزره"**، وزاد مسلم: **"وجَدَّ وشد مئزره"**، فقولها: ""وشد مئزره": كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، ومعناه التشمير في العبادات، وقيل هو كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع، وقولها: "أحيا الليل": أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها والمراد أنه يحيي معظم الليل". وهذا كان في حق نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم هذا هو شأنه في بيته في العشر الأواخر صلوات ربي وسلامه عليه.

أيها الصائمون والصائمات: وأما قول عائشة رضي الله عنها: "وأيقظ أهله" أي: أيقظ أزواجه للقيام، ومن المعلوم أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوقظ أهله في سائر السنة، ولكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل، ففي صحيح البخاري: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استيقظ ليلة، فقال: (**سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن! ماذا أُنزل من الخزائن! من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**)، وفيه كذلك أنه كان عليه السلام يوقظ عائشة رضي الله عنها إذا أراد أن يوتر. لكن إيقاظه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

أيها الصائمون: أيها الآباء الكرام: افعلوها اقتداءً بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأيقظوا أبناءكم للتهجد في العشر الأواخر، وشجعوهم، وكونوا قدوة لهم، واعلموا- أيها الآباء- أنه لن يكون اقتداؤكم بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إيقاظ أبنائكم وبناتكم إلا خيرا لكم وبركة على أسرتكم وحياتكم ونفعا لآخرتكم، وأما أنتم- أيها الأزواج- فلا تدعوا ليل زوجاتكم يذهب في عمل البيت، أو في النوم، بل شجع زوجتك على القيام في العشر الأواخر، وكن سباقا لها في العبادات، وكن قدوة لها، فإن الزوجة تتأثر بالزوج تأثرا كبيرا داخل البيت.

أيها الآباء والأمهات: ذكّروا أبناءكم وزوجاتكم بليلة القدر، وأنها في العشر الأواخر، وذكروهم بحال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهله في مثل هذه الليالي، ورتبوا لأنفسكم برنامجا عمليا من القيام ولذكر والدعاء وقراءة القرآن في العشر الأواخر تعملونها داخل بيوتكم، ليجعل الله منها بيوت رحمة وخير ونور وبركة، أيها الآباء، وأيها الأزواج والآباء: إن صنيعكم الطيب هذا هو دليل رحمتكم وخيريّتكم بأهليكم.

يا عباد الله: لا تدعوا الليل يسرق منكم أبناءكم وبناتكم وزوجاتكم وأخواتكم وأمهاتكم، يسرقهم بالسهر على شاشة التلفاز وبحمى الانترنت والخلويات، فيضيع

عليهم ليلهم، ويغرق البيت في ظلمات المعصية، والخمول، وفقدان بركة القيام والدعاء والتضرع وتلاوة كلام الله العظيم، فمثل هذه البيوت في العشر الأواخر هي بيوت خاوية على أهلها، هي بيوت كالمقابر، هي بيوت مظلمة معتمة خرجت منها أنوارُ وبركاتُ وخيراتُ العشر الأواخر، ويكفي هذه البيوت وأهلها خسرانهم لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

أيها الصائمون والصائمات: إن عمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا في بيته ومع أهله في هذه العشر الأواخر المباركة يدل على اهتمامه بطاعة ربّه، ومبادرته الأوقات، واغتنامه الأزمنة الفاضلة. فينبغي على الأسرة جميعها الجِدّ والاجتهاد في عبادة الله، وألا تضيّع ساعات هذه الأيام والليالي الفضيلة، فلا أحد يدري ماذا سيفعل به في قابل الأيام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المجتبى، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

أيها الصائمون والصائمات: هذا هو نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو بيته في العشر الأواخر، وهذا هو ليله وليل أهله في العشر الأواخر، فهل نحن آخذين بطريقه وسالكين سبيله ومقتدين به صلوات الله وسلامه عليه؟.

"اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا".

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئًا.

الثابت في خصائص ليلة القدر وعلاماتها

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عباد الله: ليلة القدر، من الأزمنة التي اختارها الله تعالى، والله يخلق ما يشاء ويختار، كما اختار من الأمكنة أرضَ مكة المكرمة موطنا لبيته المحرم. فحينما نتكلم عن ليلة القدر فإننا نتكلم عن زمان طولُه ليلةٌ واحدةٌ فقط. وهذا الزمان هو من اختيار الله تعالى، من الذي أخبرنا بذلك؟ إنه الوحي.

ولذلك- يا عباد الله- إذا أردنا أن نخبر عن هذه الليلة، فإن المنهج الحق في ذلك يقول: إنه لا بد لنا من أن نعتمد على خبر الوحي، وخبر الوحي الثابت والصحيح فقط؛ لأن شأن هذه الليلة هو شأن إلهيّ، واختيارها وتفضيلها وبيان سبب تفضيلها وأَوْجُه تفضيلها وخصائصها وعلاماتها هو من شأن خبر الوحي من عند الله، لا من شأن خلقه من الناس. فهو سبحانه مَنِ اختار ليلة القدر زمانًا مفضَّلًا، وهو سبحانه مَنْ يخبرنا عن تلك الليلة. وهذا منهج مهمّ جِدًّا لا بد لنا أن نتبعه حتى نتجنب كثيرا من الكلام والروايات والآراء عن تلك الليلة، مما لم يثبت صحته في خبر الوحي.

عباد الله: لأجل هذا دَعُونا في هذه الخطبة نلتزم بخبر الوحي الصحيح لنتعرف على خصائص ليلة القدر وأوصافها وعلاماتها الثابتة لها.

عباد الله: من خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة من بين الليالي العشر الأواخر من رمضان، وأنها تتنقَّل بين هذه العشر، فقد تكون ليلة العشرين، وقد تكون ليلة الثلاثين، وقد تكون ليلة الثالث والعشرين، وقد تكون ليلة السابع والعشرين، وقد تكون ليلة الرابع والعشرين، وهكذا. فهذه خاصية أصيلة لليلة القدر ثابتة في خبر الوحي الصحيح، فقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ومنها: حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الْتَمِسُوا- تَحَرَّوْا- لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**)، وفي رواية ابن عمر: (**الْتَمِسُوهَا فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ- يَعْنِى لَيْلَةَ الْقَدْرِ**)، وفي رواية أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ: (**فَالْتَمِسُوهَا فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**)، وهي عامة للّيالي الفردية والزوجية.

وقد جاءت الأحاديث كذلك والروايات عن الصحابة في تَنقُّل هذه الليلة في العشر الأواخر، فثبت عن عبد بن أنيس أنها ليلة الثالث والعشرين، وثبَت عن أبي سعيد الخدري أنها ليلة الحادي والعشرين، كما ثبَت عن عمر بن الخطاب، وحذيفة بن اليمان، وأُبَيّ بن كعب ومعاوية القول بأن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، وكان ابن عباس يرى أنها ليلة أربع وعشرين، عن عكرمة عن ابن عباس: "التَمِسُوا في أربع وعشرين". وروى عبد الرزاق في مصنفه أن التابعي الجليل مكحول الدمشقي كان يرى ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين، وهذا الانتقال معناه عدم إمكانية الجزم بليلة ثابتة لليلة القدر، وعليه فما جاء من روايات ثابتة عمّن أثبتها في ليلة من أقوال الصحابة فهو إثبات لها في تلك السنة التي ذكرها فيها لا من باب التَعْميم أنها كذلك كل سنة.

عباد الله: ومن الخصائص الثابتة لليلة القدر: أن نزول القرآن العظيم قد بدأ في تلك الليلة، فمن خصائصها أن نزول القرآن العظيم أوّل ما نزل كان فيها لا في غيرها من ليالي السنة. والدليل على هذه الخاصية لليلة القدر قول الله تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ**

الْقَدْرِ)[الْقَدْرِ: 1]، وقوله تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**) [الدُّخَانِ: 3]، أي أنه ابتدئ نزول القرآن في تلك ليلة القدر من شهر رمضان على سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن عاشور: "فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي ابْتُدِئَ فِيهَا نُزُولُ الْقُرْآنِ على مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ مِنْ جَبَلِ حِرَاءٍ فِي رَمَضَانَ"، وقال ربنا سبحانه في خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان في سورة القدر: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[الْقَدْرِ: 1]، فهنا سمَّى الليلة وحدَّد وجودها في شهر رمضان. وعليه يكون قوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**)[الْعَلَقِ: 1-3]"، فهذا الحَدَث وقع في وقت من رمضان؛ ليشهد بذلك على خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان المبارك، خصوصية أرادها الله وشاءتها حكمته سبحانه وتعالى.

وقال محمد رشيد رضا في (تفسير المنار): "وَأَمَّا مَعْنَى إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ -مَعَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ بِالْيَقِينِ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مُنَجَّمًا مُتَفَرِّقًا فِي مُدَّةِ الْبِعْثَةِ كُلِّهَا- فَهُوَ أَنَّ ابْتِدَاءَ نُزُولِهِ كَانَ فِي رَمَضَانَ"، وقال ربنا سبحانه في خصوصية القرآن العظيم في شهر رمضان في سورة الدخان: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**)[الدُّخَانِ: 3]، وقال أبو السعود: (**الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**)[الْبَقَرَةِ: 185]، ومعنى إنزالِه فيه أنه ابتُدئ إنزالُه فيه، وكان ذلك ليلةَ القدرِ، أو أنزل فيه جملةً إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُنَجَّمًا إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئةُ الربانية.

وقال ابن عاشور عند تفسير الآية: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**)[الدُّخَانِ: 3]: "وَمَعْنَى الْفِعْلِ فِي "أَنْزَلْناهُ" ابْتِدَاءُ إِنْزَالِهِ، فَإِنَّ كُلَّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ تَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهِيَ مُنْضَمَّةٌ إِلَيْهِ انْضِمَامَ الْجُزْءِ لِلْكُلِّ، وَمَجْمُوعُ مَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ الْإِنْزَالُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ هُوَ مُسَمَّى الْقُرْآنِ إِلَى أَنْ تَمَّ نُزُولُ آخِرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة مباركة. فتأمل معي قول ربك سبحانه في سورة الدخان: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**)[الدُّخَانِ: 3]، فوصف الليلة بأنها مباركة. وتأمل معي هذا الوصف: "مباركة"، وتأمل معي من الذي وصفها بالمباركة؟ إنه الله سبحانه وتعالى. فحكم لهذه الليلة حكمًا كونيًّا قاطعا دائما في حقها أنها ليلة مباركة. فسبحانك ربي سبحانك. (**فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**)[الدُّخَانِ: 3]، قال السعدي في تفسيره لمعنى مباركة: "أي: كثيرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر"، وقال ابن عاشور: "وَوَصْفُهَا بِـ "مُبارَكَةٍ" تَنْوِيهٌ بِهَا وَتَشْوِيقٌ لِمَعْرِفَتِهَا"، وقال أيضًا: "وثبت أن الله جعل لنظيرتها من كل سنة فضلًا عظيمًا لكثرة ثواب العبادة فيها في كل رمضان كرامة لذكرى نزول القرآن، وابتداء رسالة أفضل الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النّاس كافة".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة تفضُل على غيرها من الليالي في العبادة بقدر ألف ليلة ويزيد، والدليل هو قوله تعالى: (**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)[الْقَدْرِ: 3].

نعم، فمن يُوفِّقه الله تعالى لإحياء ليلة القدر بالعبادات والطاعات المشروعة فيوافق في تلك الليلة ليلةَ القدر، فإنه يضاعَف له أجر إحياء تلك الليلة بحيث يعدل أجرُه فيها أجر ألف شهر بكل ليالي تلك الشهور؛ أي أجره في ليلة واحدة هي ليلة القدر يساوي أجرَ ليالي ألف شهر "ما يقارب 30 ألف ليلة، وما يساوي83 سنة تقريبا". وهذا تفضُّل وإنعام وعطاء من الكريم سبحانه. ولا يقدر عليه إلا الله تعالى واسع الفضل والعطاء والكرم والإحسان.

وقال الطبري في معنى الآية الكريمة: (**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)[الْقَدْرِ: 3] "العمل في ليلة القدر بما يُرضي الله، خيرٌ منَ العمل في غيرها ألف شهر. عملٌ في ليلة

القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر". وقال ابن عاشور في معاني الآية: "وَتَفْضِيلُهَا بِالْخَيْرِ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ. إِنَّمَا هُوَ بِتَضْعِيفِ فَضْلِ مَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَوَفْرَةِ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالْبَرَكَةِ لِلْأُمَّةِ فِيهَا، لِأَنَّ تَفَاضُلَ الْأَيَّامِ لا يَكُونُ بِمَقَادِيرِ أَزْمِنَتِهَا ولا بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، أَوْ مَطَرٍ، وَلَا بِطُولِهَا أَوْ بِقِصَرِهَا، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَحْوَالَ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهَا عِنْدَ اللهَّ تَعَالَى، وَلَكِنَّ اللهَّ يَعْبَأُ بِمَا يَحْصُلُ مِنَ الصَّلَاحِ لِلنَّاسِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ، وَمَا يُعِينُ عَلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَنَشْرِ الدِّينِ".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة يُفْرَق فيها أمر الله. أي هي ليلة تُكتب فيها الأقدار المستقبلية لسنة كاملة؛ أي: حتى موعد ليلة القدر القادمة. وهذه تُعرف بالكتابة الحولية أو السنوية عند علماء العقيدة. والدليل على ذلك قول الله تعالى: (**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**)[الدُّخَانِ: 4]. قال ابن كثير: "أَيْ: في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبَة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها".

وعن مجاهد، قوله: (**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**)[الدُّخَانِ: 4] قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدَّر فيها المعايش والمصائب كلها". وقال السعدي: "ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة". وجاء في تفسير القرطبي: "إنها الليلة التي يُفْرَق فيها كلُّ أمر حكيم، فيها يقضي الله كل خلق وأَجَل ورزق وعمل إلى مثلها"، وقال ابن عباس: "يُكتب من أُمّ الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان"، وقال في هذه الآية: "إنك لَتَرى الرجلَ يمشي في الأسواق وقد وقع اسمُه في الموتى"، وهذه الإبانة لأحكام السنة إنما هي "للملائكة الموكلين بأسباب الخلق".

وقال الشنقيطي في (أضواء البيان): "معنى الآية أن الله -تبارك وتعالى- في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة، إلى ليلة القدر من السنة الجديدة. فتبين في ذلك الآجال والأرزاق والفقر والغنى، والخصب والجدب والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائنًا ما كان. إلى الأخرى القابلة". وجاء أيضا في تفسير أضواء البيان: "قال بعضهم: حتى إن الرجل لينكح ويتصرف في أموره ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى في تلك السنة".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة في خبر الوحي: أن من يقوم هذه الليلة فإنه يُغفر له ما تقدَّم من ذنبه. والدليل على ذلك قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في (صحيح البخاري)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". والإيمان معناه التصديق بأن العمل قُرْبَة إلى الله، والاحتساب هو طلب الثواب أو رجاء الأجر، والجزاء هو غفران ما تقدَّم من ذنبه، والقيام هو أن يصلي أكثر تلك الليلة، نصفها أو ثلثيها أو نحو ذلك، يقال: قام ليلة القدر. وجاء في (شرح النووي وابن حجر) للحديث: قولهما: "وفي حديث: "من قام ليلة القدر"، معناه: من قامه ولو لم يوافق ليلة القدر حصل له ذلك، ومن قام ليلة القدر فوافقها حصل له". وقال النووي: قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه": الْمَعْرُوف عِنْد الْفُقَهَاء أَنَّ هَذَا مُخْتَصّ بِغُفْرَانِ الصَّغَائِر دُون الْكَبَائِر. وقَالَ بَعْضهمْ: وَيَجُوز أَنْ يُخَفِّف مِنْ الْكَبَائِر مَا لَمْ يُصَادِف صَغِيرَة".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة تتنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليهم السلام، والدليل قوله تعالى: (**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**)[الْقَدْرِ: 4]. وظاهر الآية: "أن تنزُّل الملائكة إلى الأرض، ينزل جبريل في الملائكة، ونزول الملائكة إلى

الأرض لأجل البركات التي تحفهم. وكان نزول جبريل في تلك الليلة ليعود عليها من الفضل مثل الذي حصل في مماثلتها الأولى ليلة نزوله بالوحي في غار حِراء".

عباد الله: ومن خصائص ليلة القدر الثابتة: أنها ليلة سلام. والدليل: قوله تعالى: (**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**)[الْقَدْرِ: 5]، "وتنكير "سلام" للتعظيم. وأخبر عن الليلة بأنها سلام للمبالغة؛ لأنه إخبار بالمصدر، وتقديم المسند وهو "سلام" على المسند إليه؛ لإفادة الاختصاص، أي: ما هي إلا سلام. فالسلامة تشمل كل خير؛ لأن الخَيْر سلامة من الشر ومن الأذى، فيشمل السلامُ الغفرانَ وإجزالَ الثواب واستجابةَ الدعاء بخير الدنيا والآخرة". و"وصفها بأنها سلام؛ أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى كما قاله مجاهد، وتكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم العبد من طاعة الله عز وجل".

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

عباد الله: ما تقدم ذِكْرُه هو من خصائص ليلة القدر، ولكن يا ترى ما علاماتها؟ ما العلامات التي نعرف بها ليلة القدر؟

عباد الله: إن الإخبار عن علامات ليلة القدر هو من شأن الوحي، وطريقه الوحي، فلا يمكن للبشر أن يضعوا من عند أنفسهم علامات لِلَيلة القدر؛ ولذلك: ليلة القدر هي من اختيار الله، والوحي هو من يتكفَّل ببيان علامات تلك الليلة التي اختارها الله تعالى.

عباد الله: نعم، إن هناك علامات ومؤشرات تدل على أيِّ ليلة تلك التي كانت ليلة القدر من بين الليالي العشر الأخيرة في رمضان من كل سنة، وأن هذه العلامات تُعرف بالملاحظة، وهي غير الخصائص الثابتة لليلة القدر، فمعرفة الخصائص لا يلزم منه تحديد أيّ ليلة كانت ليلة القدر تلك السنة.

عباد الله: يدلنا خبرُ الوحيِ الثابتُ والصحيحُ بأن هناك علامة واحدة ثابتة لليلة القدر، وقد جاءت في السنة النبوية، تدل الملاحِظَ لها والضابطَ لها على أن تلك الليلة بالتحديد هي ليلة القدر من بين الليالي العشر في تلك السنة، ووفقًا لخبر الوحي الثابت والصحيح فإن هذه العلامة هي علامة بَعْدِيَّة لا قَبْلِيَّة. وتلك العلامة البعدية والوحيدة الثابتة لليلة القدر هي: طلوع الشمس في صبيحتها بلا شعاع؛ ولذلك ما سواها مما يُذكر من العلامات المنسوبة إلى السُّنَّة لا يصح؛ لأنه لم يثبت بها الدليل؛ لأن علامات ليلة القدر متوقفة على خبر الوحي، وهو ما ثبت أنه أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نعم، يا عباد الله: فالثابت في السنة النبوية علامة واحدة وهي بَعْدية، ودليلها: الحديث الصحيح الذي يرويه أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه: "وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لاَ شُعَاعَ لَهَا". فعلامتها البارزة والثابتة في الأحاديث هي ما ثبَت في صحيح مسلم من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه "أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شُعاع لها".

عباد الله: ولا بد من التنبيه هنا، أن ما يُذكر من علامات أخرى مروية ومنقولة: فهي إما أحاديث نبوية لم يثبت صحتها. مثل حديث: "ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة"، (ضعَّفه البيهقيُّ). وإلا فماذا يقال لأهل البلدان التي تكون باردة طيلة أيام العام، وماذا يقال لنا في فصول الشتاء الرمضانية الباردة أو في البلدان شديدة الحر، وأما اجتهادات وأقوال للعلماء مثل قولهم: "زيادة النور في تلك الليلة، وطمأنينة القلب، وانشراح

الصدر من المؤمن"، وهذه مجرد اجتهادات، وإما كلام شعبيّ متوارَث لا قيمة له ولا اعتبار، مثل: أن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلى الأرض ثم تعود إلى منابتها، وأن كل شيء يسجد فيها، وذكَر بعضُهم أن المياه المالحة تُصبح في ليلة القدر حلوة، وهذا لا يصح، وذكر بعضهم أن الكلاب لا تنبح فيها، ولا تُرى نجومها، وهذا ومثيله كله لا يصح.

نعم، يا عباد الله: الحق والصواب فقط هو ما أخبر به الوحيُ، وصحَّ وثبَت وهي علامة واحدة بعدية؛ وهي طلوع الشمس في صبيحتها بلا شعاع، فإذا سمعتم شيئا أو قرأتم كلامًا عن علامات القدر، فاسأل سؤالًا واحدا: هل هذا عليه دليل صحيح وثابت من الكتاب أو السنة.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة واجعلها لوجهك خالصة.

"ليلة القدر" في سورة الدخان: تأمّلات علمية ووقفات رمضانية

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عباد الله: لقد اعتدنا أن نستمع إلى الحديث عن ليلة القدر في القرآن الكريم غالبا من خلال سورة القدر؛ فهي سورة عظيمة متخصصة كاملة في ليلة القدر، ولكن هنا نسأل سؤالا مهما، وهو:

هل تحدّث القرآن الكريم لنا عن ليلة القدر في سورة أخرى غير سورة القدر المعروفة لدينا؟

عباد الله: الإجابة، هي: نعم، لقد تحدث لنا القرآن الكريم عن ليلة القدر في سورتين أخريين غير سورة القدر، تحدث لنا صراحة في سورة "الدخان" في الآيات 3 و4، وتحدث لنا بكلام غير صريح في سورة البقرة، الآية رقم 185.

عباد الله: نعم، إن ربنا العليم سبحانه قد أعلمنا بآيات بيّنات كريمات في مطلع سورة "الدخان" عن ليلة القدر، وهي آيات من كلام ربنا سبحانه، تستحق منا وقفات معها وتأملات، وقفات علمية تفسيرية نتعلم من خلالها المعنى الشرعي العميق لتلك الآيات الواصفات لليلة القدر، وتأملات في معانيها ودلالاتها وعِبَرِها التي تزيدنا محبة وتقديرا لليلة القدر.

أيها المؤمنون والمؤمنات: نستمع بقلوب خاشعة وعقول واعية إلى ربنا العليم سبحانه وهو يكلمنا بآياته الحكيمات في كتابه العظيم عن ليلة القدر، ولكن أين؟ في سورة الدخان؛ فيقول جل ثناؤه في مطلع سورة الدخان: (**حم*وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**)[الدخان: 1-4].

عباد الله: لنتأمل معاً، لقد وصف الله تعالى هذه الليلة- ليلة القدر- في سورة الدخان بأوصاف ثلاثة:

نعم، يا-عباد الله-، الوصف الأول لهذه الليلة في سورة الدخان: أنها هي الليلة التي نزل فيها القرآن على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذي أرجحه من أقوال العلماء أنّ معنى نزول القرآن أي ابتدئ إنزاله في تلك الليلة، قال العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: "فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي ابْتُدِئَ فِيهَا نُزُولُ الْقُرْآنِ على مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ مِنْ جَبَلِ حِرَاءٍ فِي رَمَضَانَ، قَالَ تَعَالَى: (**شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**)[الْبَقَرَة: 185].

وَاللَّيْلَةُ الَّتِي ابْتُدِئَ نُزُولُ الْقُرْآنِ فِيهَا هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَالَ تَعَالَى: (**إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) [الْقَدْرِ:1].

وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنَّهَا فِي لَيْلَةِ الْوِتْرِ".

قال ابن عاشور: "وَمَعْنَى الْفِعْلِ فِي أَنْزَلْناهُ ابْتِدَاءُ إِنْزَالِهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ تَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهِيَ مُنْضَمَّةٌ إِلَيْهِ انْضِمَامَ الْجُزْءِ لِلْكُلِّ، وَمَجْمُوعُ مَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ الْإِنْزَالُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ هُوَ مُسَمَّى الْقُرْآنِ إِلَى أَنْ تَمَّ نُزُولُ آخِرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ. فقوله: (أنزلناه): ابتداء إنزاله؛ لأن الذي أُنزل في تلك الليلة خمس الآيات الأول من سورة العلق".

أيها المؤمن: تدبر معي: قول ربك في القرآن (ليلة)، وهذه الصيغة نكرة، وهذا الَتَنْكِيرُ، كما يقول ابن عاشور، يفيد التعظيم، أي إنها ليلة عظيمة تلك الليلة التي نزل فيها القرآن العظيم.

أيها المؤمن: ثم تدبر معي، قول ربك: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ)؛ ففيها الضمير(إنا)، إنه ضمير العظمة، وفيه إسناد الإنزال إلى الله سبحانه، ليفيد التشريف للقرآن.

نعم، يا- عباد الله-، الوصف الثاني لهذه الليلة، ليلة القدر، في سورة الدخان: أنها ليلة مباركة.

فتأمل معي قول ربك سبحانه في سورة الدخان: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)؛ فوصف الليلة بأنها مباركة، وتأمل معي هذا الوصف، مباركة، وتأمل معي من الذي وصفها بالمباركة؟ إنه الله سبحانه وتعالى؛ فحكم لهذه الليلة حكما كونيا قاطعا دائما في حقها أنها ليلة مباركة؛ فسبحانك ربي سبحانك.

نعم، وَصْفها الثاني: (فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ).

وقال السعدي في تفسيره لمعنى مباركة: "أي: كثيرة الخير، والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر".

وقال ابن عاشور: "وَوَصْفُهَا بِ مُبارَكَةٍ تَنْوِيهٌ بِهَا وَتَشْوِيقٌ لِمَعْرِفَتِهَا"، وقال أيضاً: "وثبت أن الله جعل لنظيرتها من كل سنة؛ فضلاً عظيماً لكثرة ثواب العبادة فيها في كل رمضان كرامة لذكرى نزول القرآن، وابتداء رسالة أفضل الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النّاس كافة".

أيها المسلمون: هذا القرآن كتاب الله، فيه الحق المبين، ويصدق بعضه بعضا، وهنا لا بد لنا من بيان الغلط الكبير الذي يقع به بعض الوعاظ والدعاة وأهل العلم، وهم قلة،

لكني قرأت هذا وسمعته في المساجد، فما هو هذا الغلط الذي يقع في حق فقه هذه الليلة المباركة؟

أيها المسلمون: يغلط بعض الوعاظ والمفسرين بقولهم؛ إن المقصود بالليلة المباركة في هذه السورة هي ليلة النصف من شعبان. وهو كلام باطل.

يقول ابن كثير: "ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، كما روي عن عكرمة، فقد أبعد النَّجْعَة فإن نص القرآن أنها في رمضان.

والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد أخرج اسمه في الموتى)، فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص".

وقال ابن عاشور: "وعَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ اللَّيْلَةَ المُبَارَكَةَ هِيَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ"، وجاء في تفسير القرطبي: "وقال القاضي أبو بكر بن العربي: وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر. ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان، وهو باطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: **(شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)** [البقرة: 185]؛ فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عيّن من زمانه الليل ها هنا بقوله: (فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ)؛ فمن زعم أنه في غيره؛ فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها".

فيا أيها المسلمون: هل يعقل أن ينصّ القرآن صراحة على أن القرآن نزل في رمضان، ثم ننسب نزوله إلى شعبان؛ فالله الله في العلم الشرعي، والفقه السديد لكلام الله، والرجوع لعلماء السلف وتفاسير العلماء المعتبرين.

يا عباد الله: أما الوصف الثالث لهذه الليلة، ليلة القدر، في سورة الدخان؛ فهو: أنها ليلة يفرق فيها أمر الله.

نعم، ذلك هو وصف ربك بكلامه العظيم لهذه الليلة في سورة الدخان، بقوله: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)؛ ففي ليلة القدر يفرق أمر الله تعالى.

ولكن ما معنى هذه الآية؟ ما معنى يفرق في تلك الليلة أمر الله؟

عباد الله: قال ابن عاشور في تفسير معنى هذه الآية وبيان حقيقة هذا الوصف لها: "الفرق: الْفَصْلُ وَالْقَضَاءُ، أَيْ فِيهَا يُفْصَلُ كُلُّ مَا يُرَادُ قَضَاؤُهُ فِي النَّاسِ"، وقال ابن كثير: "أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف. وعن مجاهد، قوله، (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)؛ قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة؛ الحياة والموت، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها".

وقال السعدي: "ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة"، وجاء في تفسير القرطبي: "إنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل خلق وأجل ورزق وعمل إلى مثلها، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، وقال في هذه الآية: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، وهذه الإبانة لأحكام السنة إنما هي للملائكة الموكلين بأسباب الخلق".

وقال الشنقيطي في أضواء البيان: "معنى الآية أن الله تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة، إلى

ليلة القدر من السنة الجديدة؛ فتبين في ذلك الآجال والأرزاق والفقر والغنى، والخصب والجدب والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائناً ما كان، إلى الأخرى القابلة"، وجاء أيضا في تفسير أضواء البيان: "قال بعضهم: حتى إن الرجل لينكح ويتصرف في أموره ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى في تلك السنة".

أيها المؤمنون: فمن أوصاف ليلة القدر أنه تكتب فيها الأقدار المستقبلية لسنة كاملة، أي: حتى موعد ليلة القدر القادمة، وهذه تعرف بالكتابة الحولية أو السنوية عند علماء العقيدة؛ فكتابة الأقدار ثلاثة أنواع؛ فافْقها يا أيها المؤمن، وهذه الأنواع هي:

النوع الأول: الكتابة الأزلية (القديمة) قبل خلق السموات والأرض، ففي صحيح مسلم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**).

والنوع الثاني: الكتابة العُمْرية، عند تخليق النطفة في الرحم؛ ففي الصحيحيْن، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**).

والنوع الثالث الذي تحدثنا عنه، وهو: الكتابة الحولية أو السنوية في ليلة القدر، حيث يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثلها، قال تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ*فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**) [الدخان:3-4]، قال ابن كثير: "أي في ليلة القدر يفصل من اللّوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها"؛ فالتقدير الحولي أو العمْري منفصل من التقدير الأزلي وتابع له.

أيها المؤمن: تأمّل معي، كيف وصف الله تعالى أمره الذي يكتب في ليلة القدر، وهو أقدار الخلق إلى السنة القادمة، بأنه أمر حكيم، فأقدار الله تعالى وأقضيته في خلقه كلها فيها الحكمة البالغة، مهما كان ظاهرها مؤلما أو مستغربا. ولهذا قال: (أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا)، "أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه".

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها المؤمنون: القرآن يصدّق بعضه بعضا، ويفسّر بعضه بعضا؛ فتأمّل معي ذلك في ليلة القدر؛ فحينما جاء في القرآن، قوله تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)** [الدخان:3]، فهنا بينت الآية أن القرآن نزل في ليلة مباركة. ولكنها لم تبين لنا في أيّ شهر مثلا، ولا اسم هذه الليلة. فجاء قوله تعالى في سورة البقرة: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)** [البقرة:85]؛ فتبين لنا من مجموع الآيتين: أن هذه الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن كانت في شهر رمضان؛ فهي ليلة من ليالي شهر رمضان، ولكن ما اسم هذه الليلة تحديدا؛ فجاءت سورة القدر؛ فبينت ذلك بقول ربنا سبحانه: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)** [القدر:1].

وبذلك يكون مجموع هذه الآيات الثلاث: أن القرآن نزل أو ابتدأ نزوله في ليلة القدر تلك الليلة المباركة من ليالي شهر رمضان المبارك.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة واجعلها لوجهك خالصة.

بأربع آيات نودعك يا رمضان وقلوبنا معك

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

عباد الله: أول آية نقرأها، ونودع من خلالها شهر رمضان المبارك، هي قول ربنا الكريم سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: 43].

نعم، نودع رمضان، ونحن نقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.

الحمد لله، حمداً طيباً مباركاً فيه الذي أحيانا فأدركنا شهر رمضان كاملاً.

الحمد لله، حمداً طيباً مباركاً فيه الذي أكرَمنا فعبدْناه سبحانه في رمضان.

الحمد لله، حمدًا طيبًا مباركا فيه الذي أعاننا على الصيام والقيام والدعاء والقرآن والصدقات في شهر رمضان. فوالله ما صمنا إلا بتوفيق الله، وما قمنا إلا بتوفيق الله، وما دعونا وتصدقنا وقرأنا القرآن إلا بتوفيق الله، فلله الحمد أولاً وآخراً.

نعم، يا عبد الله، إنّ صيامك لرمضان نعمة ربانية تستحق شكر الكريم سبحانه، إنّ قيامك وطاعاتك رزق من الكريم سبحانه تستحق الشكر والحمد والثناء الحسن، فكم من المسلمين الخاسرين، وكم من الكافرين الهالكين الذي حُرموا من الصيام والقيام وفعل الطاعات في شهر رمضان المبارك، شهر البركات!!

أيها المؤمن: إن حمدك لله تعالى، وشكرك له سبحانه وثناءك عليه، هو من أعظم العبودية لله تعالى، هو من فقه أسماء الله الحسنى: الكريم والرزاق وواسع الفضل والرحمن الرحيم، هو من استشعارك لفضل الله عليك وعطائه الجزيل لك، فليس من الإيمان أن يقتصر حمدنا لله وشكرنا لله واستشعارنا لفضل الله فقط حينما نحصل على الرزق المادي، بل الرزق الإيماني ورزق الطاعات من أعظم الرزق الرباني الذي يستحق منا الحمد والشكر والثناء الحسن، والاستشعار القلبي بفضل الله.

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَإِذَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ، قَالَ: (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**)، فالحمد لله على نعمة شهود الشهر، وعلى نعمة الصحة والقدرة فيه على فعل الطاعات، فكم من مريض مُنع الصيام؟! وكم من عليل مُنع القيام؟! وكم من مثبور هالك حرم الصيام والقيام؟!

ألم تعلم، يا أيها الإنسان، أنّ من صور عذاب الله للعبد الحرمان من الطاعة، والحرمان من فعل الخير، قال تعالى: (**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [آل عمران: 180]، وقال تعالى: (**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**) [التوبة: 127]، فيا رزاق زدنا من رزق الطاعات، ولا تعذبنا بحرماننا من فعل الصالحات.

عباد الله: ثاني آية نقرأها، ونودع من خلالها شهر رمضان المبارك، هي قول ربنا الكريم سبحانه وتعالى: (**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**) [المؤمنون: 60].

قال ابن كثير: "قوله: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصَّروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما روى أحمد: عن عائشة؛ أنها قالت: يا رسول الله، (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ)، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل".

وفي رواية الترمذي، قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم".

وقال السعدي: "(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، (و) مع هذا (قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أي: خائفة (أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات".

فالمؤمن العارف بالله وحقوقه مهما قدم من الخيرات ومهما يعمل من الصالحات فإنه يستشعر النقص في جنب الله والوفاء بحقوقه وأداء العبادات على الوجه المطلوب، ويبقى على حال من الخوف ألا يقبل الله تعالى منه، رغم رجائه الكبير بالله تعالى، وهذا هو دأب الصالحين والعارفين بالله تعالى، قال الحسن البصري: "إن المؤمن جمع إيماناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً".

عباد الله: فنحن نودع شهر رمضان وما حملناه من طاعات ونحن خائفون وجلون أن لا يتقبل الله تعالى منا لما قد يعتري أعمالنا من النقص والقصور، ولأن الوفاء بحق الله تعالى

في أداء العبادات وإعطائها حقها أمر لا يعلم حقيقته إلا الله، ونحن لا نخاف قنوطًا ولا إساءة ظن بالله تعالى بل نخاف ونوجل تعظيمًا لمقام الله تعالى، وإجلالاً لمقام العبودية، وتقصيرًا منا بأداء الله حقه في عبادتنا، وتواضعًا منا في جنب الله العظيم.

عباد الله: ثالث آية نقرأها، ونودع من خلالها شهر رمضان المبارك، هي قول ربنا الكريم سبحانه وتعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)** [يونس: 58].

قال ابن كثير: "أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به، (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة، لما قُدم خراجُ العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عُمَرُ ومولى له فجعل عمر يعد الإبل، فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى، ويقول مولاه: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت. ليس هذا، هو الذي يقول الله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) وهذا مما يجمعون".

وقال الشوكاني: "وتكرير الباء في برحمته للدلالة على أن كل واحد من الفضل والرحمة سبب مستقلّ في الفرح، والفرح: هو اللذة في القلب بسبب إدراك المطلوب، وقد ذمّ الله سبحانه الفرح في مواطن كقوله: **(لاَ تَفْرَحْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين)** [القصص: 76]- وهو فرح الكبر وفرح الغرور- وجوّزه في قوله: **(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُم اللهُ مِن فَضْلِهِ)** [آل عمران: 170] وكما في هذه الآية".

وقال صاحب المنار: "(هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أَيْ: أَنَّ الْفَرَحَ بِفَضْلِهِ وَبِرَحْمَتِهِ أَفْضَلُ وَأَنْفَعُ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ وَسَائِرِ مَتَاعِ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَعَ فَقْدِهِمَا لَا لِأَنَّهُ سَبَبُ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، الْمُفَضَّلَةِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ".

فيا عبد الله: يا أيها العابد: مَنْ حقّك: يا مَن صمت رمضان، ويا مَن قمت رمضان، ويا مَن أكثرت مَن فعل الخيرات في رمضان، من حقّك أن تفرح وأن تُسَرّ بذلك: فرحًا مشروعًا وسرورًا مباركًا، فهذا والله هو من فضل الله عليك وهذه هي رحمته لك، وهذه هي والله أسباب الفرح الدائم والباقي المستمر دنيا وآخرة.

وأما ذاك البعيد الذي أفطر وتنكب طريق الصالحات فليس له إلا الحزن والذم والخزي بعد انقضاء رمضان، ليس له إلا الحسرة والندم والخيبة، وما ينتظره من الله في الآخرة من العذاب والحساب فهو أكبر، قال تعالى: **(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ)** [الرعد: 34].

عباد الله: رابع آية نقرأها، ونودع من خلالها شهر رمضان المبارك، هي قول ربنا الكريم سبحانه وتعالى: **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)** [الحجر: 99].

قال ابن كثير: "في البخاري عن سالم بن عبد الله بن عمر: "اليقين: الموت"، والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا: **(لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)** [المدثر: 43-47]".

وقال السعدي: "(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات".

(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين): هو أمر إلهي لكل مسلم أن يعبد الله حتى يتوفاه الله، أن تستغرق العبادة جميع مراحل عمره، ففي الحديث: "خيركم من طال عمره وحسن عمله".

(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين): ولم يقل ربك سبحانه حتى يأتيك شوال. فلا نريد منك، أيها المؤمن بالله، بعد رمضان أن تودع رمضان وتودع معه العبادات لله العظيم، فهذه الآية حجة عليك حتى موتك، فودِّع رمضان وأنت تقول له كما عبدت ربي سبحانه فيك يا رمضان سأستمر بعبادة ربي سبحانه بعدك يا رمضان؛ لأن الله أمرني أن أعبده قبل رمضان وفي رمضان وبعد رمضان، فقال لي آية عظيمة، وأمرني فيها بأمر جليل: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أي: الموت. سمعنا وأطعنا يا ربنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

عباد الله: وفقنا الله تعالى لحمده على نعمة رمضان، ونعمة الطاعات فيه، ووفقنا للاستمرار في فعل الخيرات والدوام على عمل الصالحات، فالعبودية لله تعالى هي غاية خلق الله تعالى لنا، وهي غاية في حقنا قائمة ما أقام الله الأرواح في أجسادنا.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة.

"خمس إشراقات في يوم عيد الفطر"

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

أيها المؤمنون: ليوم عيد الفطر في إسلامنا العظيم إشراقات جليلة، لا بد لنا أنْ نتفهمها، وأنْ نستشعرها ونحياها، وأنْ نعيشها ونطبقها حتى نجعل من عيدنا عيداً إسلامياً حقاً، فما هي هذه الإشراقات؟

أيها المؤمنون: أولى هذه الإشراقات لعيد الفطر: أنّ يوم عيد الفطر يوم التمايز، نعم، يوم التمايز لهذه الأمة المحمدية، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: **(مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ)**؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللهَّ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ)**.

قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ: "قَدِمَ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَة": أَيْ مِنْ مَكَّة بَعْد الْهِجْرَة، "وَلَهُمْ": أَيْ لأَهْلِ الْمَدِينَة "يَوْمَانِ": وَهُمَا يَوْم النَّيْرُوز وَيَوْم الْمِهْرَجَان، "فِي الْجَاهِلِيَّة": أَيْ فِي زَمَن الْجَاهِلِيَّة قَبْل أَيَّام الإِسْلام، "أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا": أَيْ جَعَلَ لَكُمْ بَدَلاً عَنْهُمَا خَيْرًا "مِنْهُمَا": أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى وَ"خَيْرًا" لَيْسَتْ أَفْعَل تَفْضِيل؛ إِذْ لا خَيْرِيَّة فِي يَوْمَيْهِمَا "يَوْم الْأَضْحَى وَيَوْم الْفِطْر".

وبذلك يكون يوم عيد الفطر يوم تتميز فيه الأمة عن غيرها من الأمم، فلا توجد أمة اليوم على وجه الأرض كلها عيدها هو تشريع من عند الله إلا هذه الأمة المحمدية، فهكذا أرادها ربها سبحانه وتعالى أنْ تكون، أمة متميزة في عقيدتها، وفي أنظمتها، وفي عباداتها، وفي شريعتها، وفي شعائرها، وفي أعيادها. نعم، أراد لها ربها أن تكون لها خصوصية ربانية في أعيادها، فتأمّلوا معي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَّ قَدْ أَبْدَلَكُمْ"، فالعيد تشريع من الحكيم سبحانه لهذه الأمة المسلمة؛ لتكون متميزة. إن أيّ أمم الأرض اليوم عيدها هو تشريع من الله، بل أعيادها كلها إما محرفة، وإما تشريع وضعي من وضع طواغيت الأرض وعاداتهم، ولذلك تمتلئ أعيادهم بالشر وبالمنكر، وبالضلالات وبالبدع، بينما عيد أمة الإسلام خير وبركة، وسلام من الرحمن، وذلك ما أراده لها ربها سبحانه، فتأملوا معي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَّ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا" خيراً منهما، فقولوا لي: أيّ أمّة من أمم الأرض اليوم، عيدُها قربةٌ إلى الله، عيدها يأتي بعد عبادة عظيمة لله تعالى، بل عيدها يُفتتح بذكر الله، ويُسجد فيه لله بصلاة خاصة!!

وبذلك يشرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أعيادها الشرعية الصادقة الطيبة التي تتقرب فيها إلى خالقها سبحانه، ويبطل تلك الأعياد الجاهلية التي صنعها البشر وشرعها طغاة الأرض؛ ملهاةً للشعوب، وإغراقاً لها في عالم الشهوات. ويحذرنا كذلك من الانغماس بها وتقليدها وتعظيمها، فلا أعياد إلا ما شرعه نبي الهدى صلى الله عليه وسلم.

أيها المؤمنون: وثاني إشراقات عيد الفطر، أنّ يوم عيد الفطر هو يوم التكبير. قال الله تعالى: (**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَّ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[البقرة: 185]، قال السعدي في معنى هذه الآية: "هي أمر بتكميل عدته، وبشكر الله تعالى عند إتمامه

على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد".(وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ)، حقاً إنه ليوم جليل، يوم يكبّر فيه المسلمون، يوم يستفتحه الموحّدون في مشارق الأرض ومغاربها بتكبيرات صادقة، ترتج لها السموات والأرض والجبال، تقشعر منها الأبدان لحظة أن تسمع تكبيرات الكهول والشيوخ والشباب والأطفال، تكبيرات تدوّي في أفق السماء: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر، تلكم هي تكبيرة الجهاد والمجاهدين، التي كانت وما زالت وستبقى تزلل كيان الأعداء، وترتعد منها فرائصهم حينما يُدوّي بها المجاهدون المخلصون، وتخرج خالصة من قلوبهم، وتجلجل بها أصواتهم.

الله أكبر، ومن قال: "الله أكبر" صادقاً كان الله أكبر عنده من كل العادات والتقاليد، فلا يجعل من يوم عيد الفطر يوماً كأيام الجاهلية؛ حيث الرقص والغناء والاختلاط والمصافحة لغير المحارم.

فكبِّر الله أيها المسلم في هذا اليوم، كبره سبحانه منذ ليلة العيد حتى صعود الإمام المنبر، وأكثر من تكبير الله بعد كل عبادة تقوم بها، واشكره سبحانه أنْ وفّقك للقيام بعبادات رمضان، فهو سبحانه من يستحق الشكر ومن يستحق التكبير.

أيها المؤمنون: وثالث إشراقات عيد الفطر، أنّ يوم عيد الفطر هو يوم التزاور، نعم، يوم تلتقي فيه الأسرة مع بعضها بعضاً لقاءً له طعمه الخاص ومذاقه الطيب، يشعر فيه أفراد الأسرة كأنهم لأول مرة يلتقون، لقاء يختلف عن كل اللقاءات، وليس ذلك إلا رحمة من الله وكرامة وجزاء وبركة من بركات طاعتهم لله تعالى في أيام وليالي رمضان.

يوم عيد الفطر، يوم يتواصل فيه الأقارب والأرحام، ويتزاور فيه الأحباب والأصدقاء والجيران. وأعظم الصلة في هذا اليوم: صلة الوالدين والبر بهما ومجالستهما، ويكفيك في ذلك حديث واحد قاله لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم، عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهَّ. قَالَ: (**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ**)؟، قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا، قَالَ: (**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهَّ**)، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**).

ولعِظَم صلة الأرحام ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرَّحِمُ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟" قالت: بلى يا رب، قال: فذاك لك**).

يوم عيد الفطر يوم تكثر فيه الزيارات، فكن أيها المسلم ممن يبادر بزيارة إخوانه وأحبابه وجيرانه وأقاربه ابتغاء وجه الله تعالى؛ لتنشر مسك المحبة بين المسلمين، ولتنال الأجر العظيم، ففي الحديث الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد: أنْ طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً**).

أيها المؤمنون: ورابع إشراقات عيد الفطر، أنّ يوم عيد الفطر هو يوم التصافي، نعم، هو يوم كريم طيب عزيز علينا، لا بد لنا فيه من أن نتسامح مع بعضنا البعض، وأن نسمح ونعفو عن بعضنا البعض، وأن تتصافى قلوبنا وتزكو أنفسنا، فقلب المؤمن ليس بالقلب الحاقد، ونفسه ليست بالنفس الخبيثة، بل المؤمن صاحب قلب تقي نقي لا غلّ فيه ولا حسد، وصاحب نفس طيبة صافية، تغفر وتتجاوز، وتتكرم وتسامح.

أيها المسلمون: إن بعض المسلمين اليوم وللأسف قد امتلأ قلبه حقداً وبغضاً وغلاً وكراهيةً، لكن على مَنْ؟ هل على اليهود؟ هل على الشيطان؟ هل على أعداء الدين؟ هل على الطغاة والقتلة؟ لا هذا ولا ذاك، ولكن امتلأ قلبه بكل ذلك السوء على أخيه المسلم وعلى جاره المسلم، بل الأدهى والأمر على أقاربه!!

نعم يا مسلمون، هناك بعض المسلمين ضاقت به الدنيا فلم يجد أحداً يقاطعه ويبغضه إلا والديه، إلا أخواته، إلا إخوته من أمه وأبيه، إلا الصالحين من عباد الله، وأذكّر هؤلاء بكلمات من وحي السماء، أذكرهم بقول الله تعالى: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**)[محمد: 22- 23]، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**)، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ليس شيء أُطِيعَ اللهُ فيه أعجل ثواباً من صلة الرَّحِم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم**)، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ**).

ولذلك في هذا اليوم المبارك أوجّه دعوة إلى كل قاطع، وإلى كل ظالم، وإلى كل معتدٍ، بادر ثم بادر إلى الإصلاح وطلب المسامحة، والاعتذار، ولا تخضع لنفسك ولشيطانك، فإن الاعتذار والمصالحة في الدنيا أهون من حساب الله في الآخرة.

وأما أنت يا صاحب الحق، فكن من السابقين ومن الفائزين ومن الكرماء، فاعف واصفح وسامح، واقبل الصلح وقم بزيارة من ظلمك، وافعل ذلك فقط لأجل الله تعالى، افعل ذلك فقط لتكن من أصحاب الآية الكريمة: (**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ**)[الشورى: 40]، فيا الله، ماذا تريد أكثر من ذلك، يقول لك ربك: إن عفوت

وأصلحت لأجلي فأنا من سيكفل لك أجرك. فماذا تريد من الكريم غير ذلك، فاعف واصفح وسامح في هذا اليوم المبارك جعلك الله من المباركين.

أيها المؤمنون: وخامس إشراقات عيد الفطر، أنّ يوم عيد الفطر هو يوم التوسعة والسرور، نعم يا عباد الله، في يوم العيد يُستحب التوسعة على الأهل بالطعام والشراب، وباللعب المباح، والمرح المشروع. وقد ذكر ابن حجر: "أن من السنة مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كَلَف العبادة، وأن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين".

فكن أيها الوالد وأيها الابن، وكوني أيتها الأم وأيتها الزوجة، ممن يُدْخِل السرور على بيته، وممن يسهم في إبساط أهله ومازحتهم، وإطعامهم، وتغيير أجوائهم، لا تكن في اليوم متجهماً عبوساً قمطريراً، لا تكنْ في هذا اليوم شحيحاً ماسِكاً ونكداً قاسياً. فخيرنا خيرنا لأهله، وأحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم.

وأوجّه رسالة للأبناء، أنْ أكرموا والديكم يوم العيد وارفعوا من مقامهم، وأشعروهم بالفرح والسرور وانسوا المشاكل بينكم، زوروهم واجلسوا معهم، واسهروا معهم، وغيّروا أجواءهم، ففي رمضان وحده، تذكر إنفاق الوالد، وقيامه على أهلك بالمال، وتذكر طوال الشهر جهد الأم وتعبها.

يا أيها المؤمنون: تذكروا وأنتم تجتمعون مع أسركم، أنّ هناك أطفالاً يعودون إلى بيوتهم دون صحبة آبائهم، يعودون إلى بيوتهم فلا يجدون والداً بانتظارهم، ولا أُمّاً تحتضنهم، فهم قد فقدوا الأب أو الأم أو كلاهما. وتذكروا أنّ هناك آباء لنْ يعودوا اليوم إلى بيوتهم ليجالسوا أولادهم، فهم إما قضوا على يد الأعداء، وأما وقعوا في الأسر، وإما

مرابطون يجاهدون في سبيل الله، ألا فلنذكر هؤلاء جميعاً، ولنعمل على إدخال السرور على أبنائهم وذويهم.

أقول قولـي هـذا وأستـــغفر الله.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها الأخوة: نعم، هذا يوم عيد الفطر، هذا يوم يهنئ المسلم فيه كل المسلمين بحلول هذا العيد، ويبارك لهم، ويدعو الله أن يتقبل منهم، ويُسلم عليهم ويصافحهم، ويتبسم في وجوههم، ويقابلهم بوجه مشرق وبلباس جميل، ليظهر تميزه وفرحه بهذا اليوم المبارك يوم عيد الفطر.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، واجعلها لوجهك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها شيئًا.